ذراع يمنى السحرية

دينا عفيفي
تدقيق لغوي وأشعار: عبد الناصر السيسي

الطبعة الأولى 2024
تأليف: دينا عفيفي
dinam0afifi@hotmail.com
مراجعة وتدقيق لغوي وأشعار: عبد الناصر السيسي
رقم الإيداع: 2023-28871
الترقيم الدولي: 9789779947136
تصميم ورسم الغلاف: شيرين سعيد

Copyright © 2024 Dina Afifi
All rights reserved

الفصل الأول

اليوم هو يوم الاختبار في السنة الدراسية السادسة. يُمنى في الصف السادس الابتدائي بأحد أحياء القاهرة. تسعى يُمنى إلى أن تكون الطالبة المجتهدة التي ترغب جميع زميلاتها أن يكُنَّ لها صديقات، تسعى دائمًا للرد على أسئلة أساتذتها. بل تحب أن تُحَضِّر دروسها سلفًا حتى يكون لها السبق في أي حصة لأي مادة دراسية. مادتها المفضلة هي اللغة العربية. تعشق يُمنى اللغة العربية، خاصة الشعر، وتجد يُمنى عزاءً كبيرًا في قراءة الشعر وحفظه عن ظهر قلب. تقع القافية في قلب يُمنى موقع المحب، تُحدث بداخلها تأثيرًا لا يمكن وصفه، وهي نفسها لا تستطيع بشكل كافٍ أن تعبر عن أثر الشعر في نفسها. تحب الشعر لدرجة أنها في هذه السن تطلب من والدتها شراء دواوين لشعراء كبار مصريين وعرب. تحب أن تمسك بقلمها الرصاص وتخط بأناملها الرقيقة بيدها اليسرى على الحروف الأخيرة من كل شطر بيت تأكيدًا على الأثر الرائع للشعر لديها.

قراءة يمنى للشعر هذه القراءة الكثيفة المتعمقة، جعلتها تخطو أولى محاولاتها في كتابة الشعر وهي في سن 11 عامًا. تمسك القلم بيدها اليسرى، تمسك بالورقة، تأخذ تفكر وتمعن في التفكير. تحاول أن تعبر عما يدور في ذهنها وما يجيش في صدرها من حُزن وألم وحيرة، وأسئلة لا نهاية لها في أحيانٍ كثيرةٍ. لِمَ الحزن؟! لم تقرر يُمنى بكامل إرادتها أن تكون حزينة ومتألمة وحائرة، إنما تشعر رغمًا عنها بهذه المشاعر في الأحيان التي يُشعِرها فيها الناس أنها مختلفة عنهم. نعم يُمنى مختلفة عن باقي زميلاتها في الفصل وفي المدرسة كلِّها، بل وفي الحي بأكمله، لكن لا ينقصها شيء، فهي فتاة متفوقة رقيقة، تحب الخير لكل من حولها.

وُلدت يُمنى بلا ذراع يمنى. لم تقرر هذا، ولم تتعرض حتى لحادث سبب لها ذلك الاختلاف، بل كانت إرادة الله سبحانه وتعالى. لطالما حدثتها والدتها عن الأقدار والتسليم للقدر، وكيف أن التسليم للقدر وعدم العناد أو التصرف معه بندية وحالة الرفض هو مفتاح السعادة لأي إنسان.

والدها كذلك كان يُشعِرها دائمًا بأنها فتاته الأثيرة المدللة، وكان يود لو يأخذ قطعة من السماء ويُهديها إياها، فربما كان الأبوان يشعران بالذنب تجاه يُمنى، لا لشيء سوى أنهما أولاد عمومة؛ لذا كان هذا العيب الخِلقي الذي ولدت به يُمنى. حاول الأب والأم مرارًا أن يحاربَا شعور المرارة والألم لدى يُمنى، وأن يسلحاها بما ينفعها من الحيل النفسية والدفاعية التي يُمكن أن تحميها من ردود الفعل المختلفة التي يُمكن أن تجدها ممن حولها. لكن والدها توفي منذ سنوات قليلة، وبقيت الأم وحدها مع ابنتيها.

يُمنى فتاة نقية السريرة وفائقة الطيبة، تحب كثيرًا أن تساعد من يطلب المساعدة، بل تبادر إلى مساعدة من لا يطلب المساعدة، ويسيء بعضهم فهم ما تقوم به يُمنى فيفسره كلٌّ بالطريقة التي تحلو له. وهناك أيضًا بعضُ قساة القلوب، الذين يَحْلو لهم أن يجرحوا من أمامهم بلا شفقة أو رحمة، حتى بين الأطفال في أعمار الزهور.

سارة زميلة يُمنى في المدرسة كانت من هؤلاء. كان لدى سارة مجموعة من الصديقات، وكانت تحب كثيرًا السيطرة على الفصل وعلى كل ما يحدث في الفصل. تحب كذلك أن تحدد لصديقاتها من التي يمكن أن يصادقنها ومن التي محظور عليها الانضمام إلى مجموعتها. تعتمد سارة في حكمها على الصديقات اللاتي سوف ينلن ثقتها على الشكل، فلا بد أن يكون شكلها لا بأس به، لا تكون دميمة، لا تكون تصرفاتها

غريبة، وتكون من المتفوقات أو على الأقل ذات مستوى متوسط، وبالطبع (من وجهة نظر سارة) لا يبدو عليها أي شيء غريب.

يُمنى رغم تفوقها وصفاتها المحببة الجذابة كانت بالطبع خارج إطار مجموعة سارة، فيُمنى تنقصها هذه الذراع، وشكلها يبدو بالنسبة لها غريبًا للغاية ومنفرًا كذلك. كثيرا ما ضبطت يُمنى سارة وهي تنظر لذراعها الناقصة، وتدقق النظر والتحديق في ذلك الجزء الصغير المتبقي منها. كم تؤلم يُمنى هذه النظرات. صحيح أنها اعتادت عليها، فهذا ما يحدث لها في أي مكان تتوجه إليه تقريبًا، لكن الألم لم يختفِ.

الفصل الثاني

في أحد أيام الدراسة، طلب معلم الرياضيات من الفصل حل مسألة رياضية كانت تحتاج إلى قدر كبير من التركيز والتحليل والتفكير. كانت المسألة صعبة للغاية بالنسبة للتلميذات. كل الفكرة أن المعلم أراد أن يجعل التلميذات يتحدين أنفسهن وأن يحاولن التفكير بشكل أفضل، واستخدام ما تعلمن من قواعد لحل هذه المسألة. تحب يُمنى كثيرًا مثل هذه التحديات، أخذت تفكر وأمسكت بالورقة والقلم وكتبت على الورقة العديد من المحاولات، إلى أن توصلت للحل.

كانت يُمنى منفعلةً للغاية وسعيدةً جدًّا لتوصلها للحل، ولم تتحكم بشكل كافٍ في انفعالاتها، فصاحت قائلة:

- لقد حللت المسألة يا معلمي! أنا الأولى!

حاول المعلم أن يهدئ قليلًا من انفعالاتها، يعلم المعلم جيدًا كيف أن الفتيات في هذه السن يغرن بشدة من بعضهن، وكان يخشى على يُمنى هذه الغيرة.

قال المعلم:

- أحسنتِ يا يُمنى. هل يمكن أن تشرحي لنا كيف توصلتِ للحل، والخطوات التي قمتِ بها والقوانين التي استخدمتِها؟
- حسنًا، ...

أخذت يُمنى تشرح أمام زميلاتها كيف توصلت إلى حل المسألة أمام السبورة كما طلب المعلم. أمسكت الطبشورة بيدها اليسرى. كان ظهر يُمنى هو الذي يظهر لزميلاتها، فطلب منها المعلم أن تواجههن وتنظر إليهن. وفعلت ذلك يُمنى حسب توجيهات معلمها. شعرت يُمنى بتهامس بين سارة وبين صديقاتها في مجموعتها التي تنتقيها بدقة شديدة. أخذت سارة تتهامس مع صديقتها جنى ثم ضحكت الفتاتان.

وبينما كانت يُمنى تشرح المسألة لاحظت كيف أن سارة وجنى تتعمدان عدم النظر إلى السبورة، وتركزان على ذراع يُمنى المفقودة. إنهما تعلمان جيدًا أن هذا يؤلم يُمنى. عجزت سارة وجنى عن الحل، فلذلك قررت الفتاتان الانتقام من يُمنى بطريقتهما الخاصة. استمرا في التحديق في ذراع يُمنى بشكل أَرْبَكَهَا كثيرًا. بل بلغ الانفعال بيُمنى أن تركت الطبشورة وهرعت إلى مقعدها وأجهشت بالبكاء.

لم يفهم المعلم ما الذي حدث، أو ما الذي جعلها تبكي لهذه الدرجة رغم أنها كانت الوحيدة التي تمكنت من حل المسألة. خططت سارة وجنى لإفساد لحظة التفوق على يُمنى ونجحتا في ذلك بالفعل.

توجه المعلم إلى يُمنى متسائلا:

- ما لكِ يا يُمنى؟ ما الذي حدث؟

ردت يمنى:

- لا شيء. لا شيء. أريد شقيقتي. أريد أن أرى شقيقتي.
- أين هي شقيقتك يا يُمنى؟ ومن هي؟
- في الصف الثاني الإعدادي. اسمها أمينة. أريد أن أراها الآن. أريد أن أتحدث معها

استفسر المعلم عن اسمها بالكامل وفي أي فصل، وتمكن بالفعل من استدعائها إلى فصل يُمنى. دخلت أمينة الفصل وبدا عليها الانزعاج الشديد من حالة يُمنى. كانت أمينة هي الحارس الخاص ليُمنى، كانت دائمًا تدافع عنها وترد عنها أي أذى، بل ربما تنتقم ليُمنى إذا آذاها أحدهن.

خرجت الفتاتان من الفصل وتحدثتا. حكت لها يُمنى الموقف بأكمله. احتضنت أمينة أختها بشدة قائلة لها:

- لا يهمك منهن. سترين كيف سأتصرف مع هذه السارة. سترين ما سيحدث.

مسحت أمينة دموع يُمنى بيدها، وطمأنتها مرة أخرى وتوعدت.. وتوعدت.

الفصل الثالث

انتظرت أمينة انتهاء الفصل الدراسي، وجمعت صديقاتها في الفصل. كانت تلك الصديقات يحببن يُمنى كثيرًا ويعتبرنها أختهن. حكت أمينة لهن ما حدث من سارة، وكيف أنهن لا بد أن يساعدنها في الانتقام ليُمنى واسترداد جزء من كرامتها التي أهدرتها.

ترصدت أمينة وصديقاتها لسارة وهي تخرج من الفصل. أبعدن الصديقات سارة عن صديقاتها وأحطن بها. قررت أمينة أن تُلقن سارة درسًا لا تنساه. واجهت أمينة سارة وقالت لها:

- هذا هو جزاء من لا يحترم شقيقتي ويعاملها بالحسنى.

ثم وجهت لها ضربة شديدة بقبضة يدها في بطنها. تألمت سارة كثيرًا وصدر منها صوتٌ مرتفعٌ مُدَوٍّ. لكن هذا لم يردع أمينة والصديقات من الاستمرار. قررت كل صديقة أن تشارك في هذه العملية التأديبية بما تَسْتَطِيعه، فواحدة جذبت شعرها بشدة، والأخرى عضتها في يدها، والثالثة قرصتها، والرابعة دهست قدمها.

كانت يُمنى تقف وتشاهد ما يحدث، وبداخلها مشاعر مختلطة، فقد كانت حزينة بالطبع على ما حدث معها من سارة وجنى، لكنها لم تكن سعيدةً بهذا المنظر الذي يحدث أمامها. جزء منها كان راضيًا عن الألم الذي تشعر به سارة الآن، وجزء آخر شعر بالفزع من هذا العنف، وما جعل الموقف يزداد سوءًا هو أن صرخات سارة وصلت إلى المسؤولة الإدارية للمدرسة، فهرعت ومعها مساعدتها وهالها ما رأته من منظر غير معتاد في المدرسة.

سعت المسؤولة ومساعدتها إلى إبعاد الفتيات عن سارة، وبالطبع كان المنظر لافتًا جدًّا، وكان مِن الواضح مَن الطرف المعتدي، فلم تتحر المسؤولة عن السبب لأن المشهد كان لا يحتاج إلى تفسير، فقررت

استدعاء ولي أمر التلميذة أمينة وأولياء أمور صديقاتها. لكن أمينة كان لديها ما يكفي من الشجاعة لتعترف بأنها هي التي حرضت زميلاتها، وأنهن لا ذنب لهن، لكن المسؤولة أصرت على استدعاء أولياء أمورهن لأنهن شاركن في الاعتداء على سارة.

انتهى اليوم الدراسي بهذا المشهد الدرامي جدًّا، لكن أمينة لم تشعر بالذنب، وكانت تعتبر نفسها المسؤول الأول عن يُمنى داخل المدرسة، وشعرت أنها بهذه الطريقة قد استعادت ليُمنى حقَّهَا المهدر. وعادت الفتاتان إلى المنزل سيرًا على الأقدام؛ لأن المسافة بين المدرسة والمنزل ليست كبيرة، وتحدثتا عما حدث، فبادرت أمينة بالحديث قائلة:

- رأيت ما فعلتُه أنا وصديقاتي في سارة؟ تستحق كل ما حدث لها.

- لكن يا أمينة أنا لا أحب العنف. فقط كنت أريد أن أشكو لكِ ما حدث وقتها. كنت أريد أن تحتضنيني بشدة، وأن أبكي في حضنك. أنا لا أحب العنف.

- يُمنى، هناك بعض من يستحقون هذا العنف. عليكِ أن تدركي جيدًا أن هناك أشخاصًا لا يُجدي معهم التفاهم، ولا يفهمون إلا لغة القوة، ولن يتوقفوا عن الإيذاء إلا عن طريق القوة.

- لستُ أدري يا أمينة. أنا غير سعيدة بما حدث. ربما كان هناك حلٌّ آخر غير الضرب. فقط لا أحب العنف.

- الذي يشغلني الآن هو ماذا سأقول لأمي عندما نعود للمنزل؟ استدعتها المدرسة للمجيء غدًا، وبالطبع لا بد أن نحكي لها كل ما حدث بالتفصيل. احكِ أنتِ يا يُمنى ما حدث منذ البداية. أمي تعرف جيدًا أنكِ لا تكذبين أبدًا. احكِ لها ما حدث من سارة وجنى، وأن كل ما فعلته كان محاولة مني للانتقام لكِ ليس إلَّا.

الفصل الرابع

وصلت الفتاتان المنزل، وما أن رأتهما الأم حتى اكتشفت أن هناك مشكلةً ما حدثت، وبدا ذلك جيدًا على وجهيهما. سألتهما الأم:

- كيف حالكما؟ هل هناك شيء أو مكروه حدث؟ يبدو عليكما أن هناك شيئًا ما اليوم غير معتاد.

قالت أمينة:

- اسألي يُمنى.

سألت الأم يُمنى قائلة:

- أخبريني يا يُمنى ما حدث؟

حكت يُمنى لأمها الموقف بأكمله، وكيف أن سارة وجنى أفسدت عليها تلك اللحظة التي كانت تشعر فيها بفخر شديد، وحدثتها عن بكائها وحزنها، وأنها هي التي طلبت أن ترى أمينة. أوضحت يُمنى للأم أن الحالة التي كانت فيها هي السبب الذي جعل أمينة تتصرف بهذا العنف.

حاولت الأم أن تتمالك نفسها. شعرت بألم يعتصر قلبها. لطالما أشفقت على يُمنى من المجتمع ومما ستلاقيه منه. كانت تشعر كثيرًا بالعجز أمام ما تتعرض له ابنتها، وكان العزاء بالنسبة لها وجود أمينة الدائم مع يُمنى. كانت ترى أن وجود الشقيقة الكبرى يساعدها ويقويها ويدفع عنها الكثير من الأذى، لكن بداخلها هي أيضًا كانت لا تقر العنف أبدًا. كانت ترى أن الحل ليس قطعًا في رد الصاع صاعين لمن يسيء ليُمنى، والآن تشعر الأم بالحيرة، ماذا يمكن أن تقول للفتاتين حتى لا تشجع أمينة على مزيد من العنف؟! فهي تخشى عليها أيضًا من العقاب، ومن أن تتحول إلى شخصية عنيفة، تحقق كل أغراضها بالعنف.

رَتَّبَتِ الأم أفكارها وقالت لأمينة:

- يا بنيتي، أقدر كثيرًا أنك تدافعين عن أختك وقت الحاجة، كما أقدر حبك وخوفك عليها. أدرك هذا كله. لكن العنف ليس هو الحل، فقد أخطأتِ يا أمينة.

أطرقت أمينة، فقد كانت تنتظر رد فعل آخر من أمها. توقعت أن تقول لها أحسنتِ، وأن هذا هو المطلوب، توقعت ألَّا تلومها بل تلوم البنات اللاتي يضايقن يُمنى من حين لآخر. ثم قالت:

- أمي، أنتِ مَن تقولين هذا؟ ألا تدرين ماذا تفعل سارة وصديقاتها مع يُمنى؟ ألم تسمعي يُمنى تشكو أكثر من مرة من تصرفات سارة معها، وكيف أنها تجبر أغلب فتيات الفصل على عدم التحدث معها أو مصادقتها؟ هل تتصورين أنها ستتوقف عند هذه التصرفات بمجرد التحدث أو التفاهم معها؟ العنف هو الحل الوحيد مع هذه النوعية.

- لا يا بنيتي. ليس صحيحًا. هل يمكن أن تخبريني ماذا يمكن أن تفعل يُمنى إذا لم تكوني موجودة؟ هل الحل في رد الفعل الذي نقوم به بعد الإساءة؟ أم أن الحل في منع الإساءة أصلًا؟

- هذا بالضبط الذي أقوله، فعندما تتعرض سارة للعنف والقسوة، تخاف في المرة التالية، وتفكر أكثر من مرة قبل أن تقرر أن تسيء ليُمنى بأي شكل من الأشكال.

- أنا مختلفة معك يا أمينة. ليس هذا هو الحل.

أطرقت أمينة مرة أخرى. قالت الأم إنها لا بد أن تذهب للمدرسة في اليوم التالي لتشرح للمسؤولين الموقف بأكمله، وكيف ينبغي أن يكون هناك حلٌّ بعيدًا عن العنف. طلبت الأم من أمينة ألَّا تكرر هذا التصرف مرة أخرى، وأن تترك لها هذا الموضوع وهي ستحاول التصرف فيه قدر المستطاع، فقط عليها أن تعاهدها ألَّا تلجأ للعنف مرة أخرى.

لم تكن أمينة مقتنعة بما تقوله الأم تمامًا، فقد كانت تصر على وجهة نظرها، لكنها كانت مضطرة لأن تَعِدَ أمها أنها لن تلجأ للعنف ثانيةً بأي حال.

الفصل الخامس

توجهت الأم بالفعل في اليوم التالي إلى المدرسة. وصلت إلى الغرفة التي يجلس بها ناظر المدرسة. طرقت البابَ ومعها البنتان. دخل ثلاثتهن إلى غرفة ناظر المدرسة الذي تم إبلاغه بالواقعة التي حدثت في اليوم السابق بكل تفاصيلها. أخذ الناظر يتفحص الفتاتين، وأمعن النظر كثيرا في ذراع يمنى بصورة أخجلتها وأحزنتها كالمعتاد. شعرت الأم على الفور بما تشعر به يمنى فأطبقت على كفها اليسرى بشدة كي تشعرها بأنها دائمًا إلى جوارها، وكأنها تقول لها: لا تخافي يا بنيتي فأنا دائمًا معك.

بادرت الأم:

- السلام عليكم
- وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته
- أنا والدة يمنى وأمينة.
- أهلًا وسهلًا.
- جئت اليوم بناء على طلبكم.
- أهلًا بكِ سيدتي. أين والد الفتاتين؟
- الوالد متوفًّى يا سيدي. توفي قبل نحو خمس سنوات.
- حسنًا. لا مشكلة. هل يُعجبك يا سيدتي ما بدر من ابنتك أمينة؟
- إذا كنت تقصد العنف والضرب فبالطبع لا يُعجبني، لكن هل تعلم يا سيدي أن ما بدر منها هو رد فعل على ما حدث ويحدث كثيرًا لابنتي يمنى؟
- احكِ لي يا سيدتي ما الذي حدث.

حكت الأم ما حدث بناءً على وصف يُمنى، وكيف أن البنت كثيرًا ما تتعرض للإيذاء اللفظي، وفي بعض الأحيان البدني بسبب إعاقتها،

وانتظرت رد فعل من الناظر الذي وجدته وَاجِمًا وكأنه يفكر في شيء آخر غير ما يتحدثان بشأنه، فحاولت أن تعرف رد فعله المحتمل، لكنها لم تتمكن من الوصول إلى أي نتيجة. مضت بُرهة والناظر لا يتحدث وبدا عليه الشرود.

بعد فترة ليست بالقصيرة تحدث الناظر أخيرًا. كان طَوَال الوقت يحاول أن يتوصل إلى إجابة نموذجية تساعده على الخلاص من هذا المأزق. كان يشعر بأنه في مأزق كبير؛ لأنه بالطبع لا يوافق على أن تضرب بنتٌ بنتًا أخرى، وفي الوقت ذاته هو يدرك تمامًا العنف الذي تعاني منه يُمنى بسبب اختلافها. كان يحاول فقط أن يصيغ الرد الذي يجعله وكأنه يمسك العصا من المنتصف؛ حتى لا يؤخذ عليه أي موقفٍ خاطئ.

- سيدتي.. اسمحي لي أن أقول لكِ: إن ابنتك ارتكبت فعلًا شائنًا جدًّا. أنا مضطر لأن أتخذ ضدَّها إجراءً صارمًا حتى لا يتكرر هذا المشهد مرة أخرى.

شعرت الأم بخيبة أمل بالغة، فقد كانت تنتظر من الناظر أن يقف إلى جوارها، أو على الأقل أن يواسي يُمنى بأي وسيلة، لكن هذا لم يحدث. سألته:

- حسنًا سيدي، ما هذا الإجراء؟
- تقرر فصل ابنتك أمينة لمدة أسبوع.

أطرقت الأم والبنتان، شعر الثلاثة بالظلم الشديد الذي وقع عليهن. لكن أمينة بَدَا عليها الغضب الشديد والتحدي أيضًا. كانت ستهم بالرد، لكن أمها منعتها في آخر لحظة بنظرة حاسمة من عينيها، فهمتها أمينة واستوعبتها جيدًا.

- سيدي هذا قرار ظالم جدًّا. وماذا عن البنات اللاتي يُسِئْنَ معاملة يُمنى؟ ألا تتخذ ضدهن أي إجراء؟
- للأسف يا سيدتي، لم تتقدمي أنت أو ابنتك بأي شكوى ضدهن، فكيف يُمكنني أن اتخذ إجراء ضد أي منهن؟
- إذًا، فالتسامح والتغاضي عن مثل هذه التصرفات كان هو الخطأ منذ البداية يا سيدي، أليس كذلك؟!
- .....
- حسنًا يا سيدي، هذا معناه أن أمينة ستعود للمنزل ويُمنى ستعود لفصلها، أليس كذلك؟
- نعم يا سيدتي، هذا ما قصدته بالضبط.
- حسنًا يا سيدي. لكن لا بد أن تعلم أن أمينة هي من تحمي يُمنى في المدرسة طالما أن المدرسة لا تستطيع أن تحميها من هذه الإساءات، وفي ظل عدم وجود أمينة مع يُمنى أنا أحملكم المسؤولية كاملةً عما سيحدث ليمنى.

لم يَرُدَّ الناظر، لكن عينه كانت تقول كلامًا مختلفًا تمامًا عن الكلام المنطوق. كأن عينيه تقول: أفهمك جيدًا يا سيدتي، وأعتذر لكِ، ولكن ما باليد حيلة.

الفصل السادس

سَرْعَان ما تسربت الأنباء داخل المدرسة، وأصبح الجميع يعلم العقاب الذي طال أمينة بسبب دفاعها عن يُمنى، وكان هذا بالطبع يشمل فصل أمينة. كان هذا الإجراء الذي اتُخِذ ضد أمينة يعني أن يُمنى بمفردها الآن تمامًا. وأنه ما من أحد يمكنه التصدي لأي تصرف يمكن أن يصدر من تلك الفتيات.

وفي حصة اللغة العربية التي تحبها يُمنى كثيرًا، قررت سارةُ أن تحرض جنى وباقي الفتيات على يُمنى للانتقام مما حدث أمس. تدرك الفتيات أن هذه هي الحصة المفضلة لدى يُمنى، ومدى حبها للغة العربية والشعر؛ لذلك قرَرْنَ إفساد هذه الحصة على يُمنى.

مدرسة الدراسات الاجتماعية الأستاذة غادة تحب يُمنى كثيرًا، وتدعمها وتخاف عليها. تحاول أن ترعاها قدر استطاعتها، وتحاول أن تبعد عنها شبح الإساءات المتكررة التي تدرك تمامًا أن يُمنى تتعرض لها من حين لآخر، وتحرص مثل باقي المعلمين والمعلمات على أن تجلس يُمنى في الصف الأمامي بالفصل حتى تكون تحت أعينهم، ولكن للأسف الشديد في الصف التالي تجلس رُبَا وهي من صديقات سارة. اتفقت سارة مع ربا على أن تضع ليُمنى ذيلًا تشبكه في حزام الزي المدرسي، كنوعٍ من الإهانة لها.

سألت الأستاذة غادةُ الفتيات سؤالًا في مادة الدراسات، وبالتحديد في التاريخ الذي تحبه يُمنى. كان هؤلاء الفتيات يدركن حب يُمنى للتاريخ كذلك، وكنَّ شبه متأكدات أنها سوف تتوجه إلى السبورة للإجابة عن سؤالٍ ما تطرحه الأستاذة غادة. كُنَّ يغرْنَ كثيرًا من تفوق يُمنى ومن تفضيل الأستاذة غادة لها؛ لذلك قررن الانتقام.

رفعت يُمنى يدها بالطبع كما هو متوقع، وطلبت الأستاذة غادة من يُمنى التوجه إلى السبورة لحل سؤال التاريخ، وأعطتها الطبشورة في يدها اليسرى وأخذتها يُمنى بمنتهى الحماسة. وما أن وقفت يُمنى وتوجهت إلى السبورة حتى تعالت أصوات الضحكات من كل الفصل. كان الذيل مشبوكا في حزام يُمنى من الخلف بشكل أثار ضحكات كل البنات، حتى اللاتي لم يَعْتَدْنَ السخرية من يُمنى، بل من بعض صديقاتها. هذا بالضبط رد الفعل الذي كانت سارة تخطط له. هذا هو الانتقام الذي تستحقه من وجهة نظرها.

لم تفهم يُمنى في البداية ما الذي يحدث وما المضحك، تُرى هل ذراعها بها شيء مختلف اليوم عن كل يوم بشكل يدعوهن للضحك بهذه الطريقة؟! هل في ملابسها أي شيء يدعو للضحك والسخرية؟! هل شَعْرها به شيء يدعو للضحك والسخرية؟! تكاد تجن، فهي لا تعرف ماذا يمكن أن يثير ضحك الفصل عليها لهذه الدرجة.

رأت الأستاذة غادة يُمنى من الخلف ووجدت الذيل الذي أثار كل هذه الضحكات والسخرية. هزت المعلمة رأسها يمينًا ويسارًا في دلالة واضحة على غضبها الشديد مما حدث.

بدأت الدموع تنهمر على وجنتي يُمنى، في تلك اللحظة قالت لنفسها: ليت أمينة كانت معي اليوم، ليتها كانت موجودة في المدرسة كي تحتضنني وتقول لي ذلك الكلام الذي دائمًا ما يريحني. ليتني لم أكن بكل هذا الضعف. ليتني لا أبكي سريعًا كل مرة لهذه الدرجة. مسحَتْ يُمنى دموعها بيدها اليسرى بنفسها هذه المرة. لم تكن أمينة موجودةً اليوم لتمسح عنها دموعها.

سألت الأستاذة غادة بغضب بالغ:

- من منكن قامت بهذه الحركة السخيفة؟

صمت الجميع، ولم تجد رُبا الشجاعة الكافية للاعتراف.

هددتهن المعلمة قائلةً:

- حسنًا، إذا لم أحصل على اعتراف الآن فسأقرر رسوب الفصل بأكمله في اختبارات الشهر عدَا يُمنى. هل تسمَعْنَ ما أقول؟

لم تسمع صوتًا مِن أيٍّ مِن التلميذات، وواصلت الأستاذة غادة تهديداتها، وأخذت تتوعد وتتحدث عن طرق العقاب المختلفة التي يمكن أن تنتظر الفصل بأكمله إذا لم تحصل على اعتراف. وبعد فترةٍ ليست بالقصيرة، تقدمت رُبا إلى المعلمة وأخبرتها أنها تريد أن تتحدث معها على انفراد.

الفصل السابع

حسنًا يا رُبا. ها نحن في غرفة المعلمين. طلبتِ أن تتحدثي معي وأنا هنا لأسمعك. هل أنتِ مَن فعل هذا بيُمنى؟

- نعَم يا أستاذة غادة. لقد طلبت مني سارة ذلك.
- ولماذا يا رُبا تستجيبين لمثل هذه الأفكار الخبيثة؟ هل آذتك يُمنى في أي شيء يجعلك تفعلين معها ما فعلتيه في الفصل؟ ألا تدركين أن يُمنى بنتٌ مثلك، يضايقها ما يمكن أن يضايق أي بنت؟ بل إنها فائقة الحساسية لأن لها وضعًا خاصًّا؟

أطرقت ربا ولم تجب!

- لماذا يا ربا تستجيبين لهذه الفكرة؟ ما الذي يجعل لسارة هذا التأثير الشديد عليكن؟
- بصراحة يا أستاذة غادة أنا ليس لي الكثير من الأصدقاء. تقول لي سارة إنها ستتوقف عن إشراكي معهن في الألعاب، وفيما يقمن به من أنشطة مختلفة إذا لم أستجب لطلباتها.
- هي تهددك إذًا بأنها سوف تقاطعك إذا لم تنفذي كل ما تطلبه منك، صح؟
- نعم، بالضبط.
- حسنًا يا رُبا. لا يمكنني أن أَتَسَتَّر على ما تقومُ به سارة. يجب أن أرفع مثل هذا الموقف إلى مسؤولة المرحلة، وسنرى ما الذي ستفعله، هل ستحيل الموضوع بأكمله للناظر أم لا؟
- أرجوكِ يا أستاذة غادة لا تفعلي هذا بي. أرجوكِ. سوف تتوقف سارة وصديقاتها عن الحديث معي وسيعتبرنني عدوتهن.
- وما الذي يضيرك يا رُبا عندما تقطعين صلتك بمجموعة من الفتيات سيئات السلوك؟ هل تظنين أن هذه بالفعل صداقة يمكن الاعتماد عليها؟ هن لسن صديقاتك. هن فقط يقمن باستِغْلَالِك.

- لكن إذا توقفت سارة ومجموعتها عن التحدث معي، فمن يُمكنني أن أصاحب في الفصل؟
- هناك الكثير من الفتيات في الفصل يا رُبا. هل حاولتِ مع أي منهن ورفضن صداقتك؟
- نعم، حاولت مع أكثر من بنت، وكن يرفضن صداقتي. كن يقلن لي: إنكِ بنتٌ غير متفوقة، ولا نريد أن نكون صديقات لكِ.

احتارت الأستاذة غادة في حالة رُبا، فهي أيضًا طفلة معذورة تخشى على نفسها الوحدة. رُبا فتاةٌ جميلةٌ، لكنها وحيدة جدًّا في الفصل؛ لأنها فقط غير متفوقة. تتجنبها باقي الفتيات بسبب درجاتها السيئة، ولأن أغلب المعلمين يوبخْنَها بسبب عدم تركيزها أثناء الدرس؛ فهي أيضًا تتعرض للإساءة وتحاول أن تعوض هذه الإساءة بأن تستجيب لما تقوم به سارة من محاولات للسيطرة على الفصل، والإمعان في الإساءة ليُمنى.

قالت الأستاذة غادة لرُبا:

- عليك يا رُبا أن تجدِي البديلَ المناسب لكِ. إذا بحثتِ جيدًا فقطعًا سوف تجدين الصديقة المناسبة لكِ، ولتكن تلك الصديقة هي يُمنى التي أسأتِ لها كثيرًا اليوم. أتدرين شيئًا؟ يمكن لكِ الآن وفورًا الاعتذار لها، والاقتراح عليها أن تصبحي أنتِ من يرعاها ويلبي طلباتها إن كانت لها أي طلبات.

عقدت الدهشةُ لسانَ رُبا؛ حيث لم تفكر قبل ذلك أبدًا في صداقة يُمنى، كانت دائمًا تتطلع لصداقة الفتيات اللاتي لهن سيطرة وسطوة داخل الفصل حتى تكون ضمن هذه المجموعة القوية، لكنها أخذت تفكر كثيرًا في كلام الأستاذة غادة. شعرت ربا بأنها ربما لا يمكنها تمامًا التصدي لمحاولات سارة وجنى والمجموعة لمضايقة يُمنى، لكنها قررت أن تفكر في هذه الفكرة بشكل جدي.

ردت قائلة:

- حسنًا يا أستاذة غادة. أنا نادمةٌ جدًّا على ما بَدَرَ مني تجاه يُمنى، وأريد أن أعتذر لها.
- حسنًا يا ربا. سوف أناديها الآن فورًا.

طلبت الأستاذة غادة من "أم محمد" عاملةِ النظافة المسؤولة عن الفصل استدعاء يُمنى من الفصل.

حضرت يُمنى بالفعل إلى غرفة المعلمين. دخلت الغرفة وما أن وقعت عيناها على ربا حتى أجهشت بالبكاء مرةً أخرى. لم تتمالك رُبا نفسها وبدأت تبكي هي أيضًا، فهي ليست بنتًا مؤذيةً على الإطلاق، فقط تريد أن تسترضي سارة وجنى.

بادرت ربا قائلة:

- آسفةٌ يا يُمنى. أرجوكِ سامحيني. هذه أول مرة أقوم فيها بهذا التصرف، وأعدك أنها ستكون المرة الأخيرة. أرجوكِ اقبلي اعتذاري.

مسحت يُمنى دموعَها بيدها اليسرى وقالت لربا:

- حسنًا يا ربا. أسامحك. فأنا أعرف جيدًا أن سارة هي من حرضتك على هذا. أنا أعرفكِ جيدًا بالمناسبة. وأعرف أنهن أيضًا يتحاشين التحدث معك أو مصادقتك إلا بشروط معينة. أعرف هذا وأعذرك، وأسامحك.
- هل يمكن أن نكون صديقتين من الآن؟
- نعم، بالطبع يمكننا ذلك.

تعانقت الفتاتان وأخذتا تبكيان بكاءً شديدًا، وكأن كل واحدة فيهما تشعر بألم الأخرى، وكأن كل واحدة منهما تواسي الأخرى وتقول لها: لا تخشي شيئًا فأنا إلى جوارك.

شعرت الأستاذة غادة برضًا كبيرٍ عن هذا المشهد، وبعد تفاهم مع البنتين قررت عدم تصعيد المشكلة إلى مسؤولة المرحلة أو ناظر

المدرسة. ظنت الأستاذة غادة أن الموقف سينتهي عند هذا الحد. لكن كان لسارة ومجموعتها رأي آخر.

الفصل الثامن

عادت يُمنى إلى البيت وحكت لأمها ولأمينة كل ما حدث، وأبدت أمينة الغضب الشديد وقالت:

- ألم أقل لكِ يا يُمنى، سارةُ هذه لا تفهم سوى العنف. العنف هو الأسلوب الوحيد الذي يجدي معها.

قالت الأم:

- إذًا، فرغم هذا الموقف المؤسف يا يُمنى اكتسبتِ صديقة جديدة اليوم، أليس كذلك؟
- بلى يا أمي. رغم أن رُبا هي من تصرفت معي بهذه الطريقة، لكنها بنتٌ طيبة القلب جدًّا. أنا أعرفها جيدًا. هن أيضًا يَتَجَنَّبْنَهَا لأنها غير متفوقة وكثيرة السهو والإهمال في الفصل يا أمي. إنهن يُسِئْنَ لها كثيرًا وكنت أشفق عليها.
- هذه أنباء سارة يا يُمنى. فلتكن كل واحدة منكما صديقة مقربة للأخرى. كونا كالأختين داخل الفصل ودافعا عن بعضكما. أتدرين يا يُمنى؟ يمكن أيضًا أن تجِدَا بناتٍ أخريات ينضممن لكما، وتُكَوِّنَّ مجموعةً أخرى مضادة لمجموعة سارة.
- ممكن يا أمي.

سرحت يُمنى في كلام أمها، ووجدت أن الأم تبالغ في التفاؤل، فهي تعلم جيدًا أن هذا السيناريو صعبٌ جدًّا. عانت يُمنى طوال السنوات الماضية من قلة الأصدقاء، وكلما حاولت إحدى البنات مصادقتها أو الدفاع عنها كانت مجموعة سارة وجنى دائمًا ما يَسْتَقْطِبْنَها، إما بالتهديد أو الإغراء، فالمهم أن الهدف كان دائمًا هو تجريد يُمنى من الصديقات حتى تصبح وحيدة داخل الفصل.

دخلت يُمنى غرفتَهَا وبدأت في حل الواجبات المدرسية، وشعرت بداخلها بحزن شديد؛ فرغم أن الموقف انتهى بشكل إيجابي جدًّا لكنها لم تتمكن من إبعاد شبح الحزن عنها بشكل كامل. سرحت يُمنى بخيالها بعيدًا بعيدًا، في الشعر! لقد هبط عليها إلهام الشعر، وها هي تفكر في الأبيات التالية:

مالي وللدنيا ومال الدنيا ومالي
إن اجتمعوا عليّ متآمرين فلا أبالي
فتاة واحدة وثانية وثالثة يترصدْنَنِي
وكل ما أفعله هو البكاء.. أرهقْتَنِي
من ذا الذي يقول لي ماذا أنا فاعلة
إذا استبد بي حزني.. والمشاعر قاتلة

حدثَتْ يمنى نفسَها بأنها تريد أن تعرض هذه الأبيات على معلم اللغة العربية، فهو الذي يشجعها دائمًا على قراءة الشعر، وشعرت أن المعلم سيسعد كثيرًا عندما يرى هذه الأبيات. شعرت يُمنى بالفخر البالغ لأنها تمكنت من صياغة هذه الأبيات.

"سأعرض هذه الأبيات غدًا إن شاء الله على الأستاذ محمود لأرى ماذا سيكون رأيه"، هكذا قررت يُمنى. لم تشغل بالها كثيرًا أن تُري هذه الأبيات لأمينة؛ لأنها تعرف أنها ليست متذوقةً للشعر. كانت تشعر أيضًا بأن أمها مشغولة، وربما تكون مهمومةً فلم تُرِدْ أن تشغلها أو تجعلها تشعر بِهَمٍّ أكبر.

عكفت يُمنى على واجباتها المدرسية وكلها إصرار على أن تحل الواجبات على أكمل ما يكون حتى تُحدث انطباعًا جيدًا لدى المعلمين والمعلمات. اعتادت يُمنى على التفوق ولم تشأ أن يقل مستواها بسبب تصرف هنا أو هناك. أمسكت يُمنى القلم بيدها اليسرى وتناولت دفاتر

الواجبات الواحد تلو الآخر. كانت كلما شعرت بالألم في يدها من كثرة الواجبات استراحت قليلًا ثم استأنفت الفروض المدرسية.

أقبلَ الليلُ وكانت أمينة تجلس على مكتبها تتابع يُمنى. رغم أن أمينة تحب يُمنى كثيرًا وتخشى عليها وتحب جدًّا دور الحماية الذي تمارسه معها، إلا أنها تضبط نفسها في بعض الأحيان بمشاعر غيرة لا يمكنها أن تفسرها تمامًا. رغم أنها ـأي أمينةـ لا تعاني أي مشاكل صحية، إلا أنها ليست متفوقة في الدراسة مثل يُمنى. حتى عندما كانت في الصف السادس مثل أختها، لم تكن بمهارتها في حل الواجبات المدرسية وفي استيعاب مواد مختلفة خاصة الرياضيات. أخذت أمينة تنظر ليُمنى وتتابعها لبرهة. دخلت الأم الغرفة كي تتابع البنتين، ولترى إذا كان يمكن أن تعد لهما أي شيء.

دخلت غرفة البنتين فوجدت أمينة تحدق النظر في يُمنى، فاندهشت قليلًا من هذا المشهد، لكنها حاولت ألا تفزع أمينة وقالت برفق:

- حبيبتيَّ، هل تريدان شيئًا مني؟

أفاقت أمينة من أفكارها على صوت الأم الحنون، وردت عليها قائلة:

- شكرًا لكِ يا حبيبتي. أظن أن عليكِ أن تستريحي قليلًا، وإذا رغبنا في أي شيء سوف نعده بأنفسنا فلا تقلقي.

انسحبت الأم وعادت لغرفتها، وعادت أمينة مرة أخرى لأفكارها، ولكنها سَرعان ما قررت أنها تريد أن تركز قليلًا حتى تحل هي أيضًا واجباتها المدرسية. صحيح أنها حاليا مفصولة من المدرسة، لكن هذا لا يعني أن تترك الدراسة بالكلية. فقط القليل من التركيز.

الفصل التاسع

استيقظت يُمنى بكل همة ونشاط في الصباح على صوت المنبه، فقد اعتادت أن تعتمد على نفسها في الاستيقاظ وفي كل شيء. تحاول الأم قدر الاستطاعة أن تجعلها مستقلةً بذاتها، وأن تقوم بمباشرةَ أمورها بنفسها. فاستيقظت الساعةَ السادسةَ صباحًا كالمعتاد، وبعد غسل الوجه والوضوء خرجت من الحمام لتعد لنفسها الإفطار. تناولت إفطارها المفضل المكون من الزبد والمربى على "التوست" الشهي الذي تحب أن تجعله مقرمشًا في محضر الشطائر؛ لتفوح رائحة طيبة وزكية جدًّا تحبها يُمنى، وتجعلها تشعر بالانتعاش.

بعد الإفطار ارتدت ملابسها وأيقظت أمَّها؛ لأنها هي التي سَتُصْطَحِبُها إلى المدرسة بما أن أمينة حبيسةُ البيت في الوقت الحالي. استيقظت الأم وأعطتها يُمنى قبلتها الصباحية على جبهتها، وكم كانت الأمُّ تحبُّ هذه القبلةَ كثيرًا!

سألت يُمنى أمَّها قائلة:

- أتحبين أن أعدَّ لكِ شيئًا يا أمي؟
- نعم يا يُمنى، أرجوكِ أعدي لي فنجان الشاي بالحليب، وشطيرتي المفضلة إلى أن أستعد للنزول معك يا حبيبتي؛ فالوقت يقترب.
- حسنًا يا حبيبتي.

انطلقت يُمنى بكل حماسة إلى المطبخ لتعد لأمها الإفطار. لم تحرص الأم على جعل يُمنى تعتمد على نفسها في أمورها فحسب، بل كانت تحِبُّ أيضًا أن تُشركها في أي مهام منزلية؛ لأن هذا كان يجعل مزاجها أفضل، وكانت تشعر بهذه الطريقة أيضًا أنها لا تقل شيئًا عن أمينة أو عن أي بنت في سنها.

ارتدت الأمُّ ملابسها هي أيضًا وتناولت الإفطار وتأهبت للتوجه إلى المدرسة مع يُمنى. نزلت الأم والابنة وظلتا تمشيان في الشوارع الموحلة، فقد حل الشتاء وبدأت الأمطار في إغراق شوارع القاهرة. لا تسقط الأمطار كثيرًا في القاهرة لكن عندما تفعل تتحول الشوارع أحيانًا إلى ما يشبه الجزر النيلية بسبب تراكم مياه الأمطار. أمطرت أمس ولم تختفِ بعد آثار المطر.

تستمتع يُمنى بالمشي على الأرض الموحلة دون أن تدري سبب ذلك، فرغم أن هذه الأوحال ربما تجعل ملابسها متسخةً لكن شعور انغماس قدميها الصغيرتين في تلك الأوحال اللزجة تجعلها تشعر بمتعةٍ كبيرةٍ، وتود لو تلعب ذات يوم في هذه الأوحال كما رأت بعض الأطفال يفعلون يومًا في أحد مقاطع الفيديو في إحدى الدول الأوروبية.

مضت نصفُ ساعة تقريبًا والأم تمسكُ بيدِ يُمنى اليسرى حتى لا تنزلق وسط هذه الأوحال. تطمئن يُمنى إلى جوار أمها، وتتساءل عما يُمكن أن يحدث لها يومًا إن فقدت أمها مثلما فقدت أباها، لكنها حاولت أن تطرد أشباح هذه الأفكار السوداء بالتفكير في الطريق.

وصلت يُمنى أخيرًا إلى المدرسة. وَدَّعَتْهَا الأم ولوحت لها، وأخبرتها أنها سوف تجدها في انتظارها عندما ينتهي اليوم الدراسي. رأت سارةَ وجنَى في طابور الفصل الصباحي وتجاهلتهما، ورأت كذلك رُبا وسلمت عليها وقررت أن تقف إلى جوارها في طابور الفصل. صعد الطابور إلى الفصل ودخلت يُمنى وكلها حماسة كي تبدأ هذا اليوم الدراسي الجديد. كانت لا تستطيع أن تنتظر من فرط حماستها أن ترى الأستاذ محمود كي تعرض عليه أبيات الشعر التي كتبتها.

مضت الحصص المختلفة إلى أن حان موعد حصة اللغة العربية، وتأهبت يُمنى للحصة وحضَّرت الواجب. دخل الأستاذ محمود وشرع

في شرح درس اليوم، وكانت يُمنى كالعادة في الصف الأول منتبهةً تمامًا، وشاركت في الأسئلة والأجوبة لدرجة أن الأستاذ محمود قال:

- ألا توجد بنت أخرى في الفصل سوى يُمنى يمكنها الإجابة؟

كانت هذه عبارة كفيلة بإغاظة سارة؛ لأنها كانت تكره عبارات الإشادة والتشجيع التي توجه ليُمنى، لكن الحصة مضت دون مضايقات تُذكر من سارة أو أي بنت أخرى في مجموعتها، وأخيرًا حانت اللحظة التي انتظرتها يُمنى طويلًا. هَمَّ الأستاذ محمود بمغادرة الفصل، لكن يُمنى نادته طالبةً منه أن ينتظر.

استدار الأستاذ محمود قائلًا:

- نعم يا يُمنى؟ هل هناك شيء تريدين مني إعادة شرحه؟ ولو أنني أشك في هذا.
- كلَّا يا أستاذ محمود. أحببت فقط أن أعرض عليك أبيات شعر كتبتها أمس.
- حقًّا يا يُمنى؟ هذا خبرٌ سعيدٌ جدًّا. بدأتِ تكتبين الشعر فعلًا؟
- نعم يا أستاذ. هذه هي الورقة.
- أنا فقط يا يُمنى لدي حصصٌ كثيرةٌ باقي اليوم. أعِدُكِ أنني سأقرأها بمجرد أن ينتهي اليوم الدراسي، وسوف أقول لكِ رأيي غدًا.

شعرت يُمنى ببعْضِ الإحباط، فقد كانت تريد ردًّا فوريًّا من أستاذها على ما كتبته، لكنها قالت بأي حال:

- حسنًا، لا بأس. سأكون في انتظارك أستاذي.

الفصل العاشر

انشغل الأستاذ محمود طَوَالَ اليوم كما قال ليُمنى، وكان يأمل أن يجد بعضًا من الوقت لقراءة الورقة التي أعطتها له يُمنى، لكن اليوم كان حقًّا مزدحمًا بالحصص والأنشطة المختلفة، لدرجة أنه كان يظن أن هذا اليوم لن ينتهي أبدًا. عاد الأستاذ محمود إلى منزله أخيرًا، وانشغل مرةً أخرى في شؤون بيته وأبنائه الشباب، وكان يشعر بإرهاقٍ شديدٍ بعد يوم العمل الطويل، فقد تقدم به السن ولم يعد قادرًا بسهولة على بذل الجهد ذاته كما كان يفعل عندمًا كان شابًا.

كاد اليوم ينتهي لولا أنَّ شيئًا ما ذكره فجأة بالمحادثة التي دارت بينه وبين يُمنى وهو يهم بالنوم، وتذكر كيف أنه وعدها بأنه سيقرأ ما كتبته وسيخبرها برأيه، وبعد أن كان يستعد للنوم قرر أن ينهض من الفراش ويبحث عن الورقة. وجد الورقة في جيب سرواله، فأخرجها وأخذ يقرأ تلك الأبيات:

مالي وللدنيا ومال الدنيا ومالي
إن اجتمعوا عليّ متآمرين فلا أبالي
فتاة واحدة وثانية وثالثة يترصدْنَنِي
وكل ما أفعله هو البكاء.. أرهقْنَنِي
من ذا الذي يقول لي ماذا أنا فاعلة
إذا استبد بي حزني.. والمشاعر قاتلة

"ياهْ يا بُنَيَّتي! كيف لبنتٍ في مثل سنك تثقلها هذه الهموم وتتحدث عن تأففها من الدنيا؟" هكذا حدث الأستاذ محمود نفسَه، وقرر أن يحاول توجيه يُمنى لما يمكن أن تفعله كي تتحسن في الشعر؛ حيث وجد فيها موهبةً تحتاج الرعاية والتوجيه.

"سوف أتحدث معها غدًا إن شاء الله".

في اليوم التالي، طلب الأستاذ محمود أن يتحدث مع يُمنى بعد انتهاء حصة اللغة العربية. تحدث معها خارج الفصل وقال لها:

- قرأت أبياتك يا يُمنى، وأسعدتني كثيرًا هذه الموهبة. لكن عندي بعض النصائح.
- حقًّا يا أستاذي؟ هل أعجبتك أشعاري؟
- نعم يا بنيتي. أعجبتني جدًّا.
- بم تنصحني إذًا يا أستاذي؟
- أنا أعرف يا يمنى أنكِ تحبين جدًّا قراءة الشعر، استمري في قراءة الشعر بشكل مكثف، وسيتطور مستواك بالقطع. ثانيًا عليكِ أن تستخدمي الصور الشعرية أكثر. هل تعرفين الصور الشعرية؟
- نعم يا أستاذي. أعرفها. كالتشبيهاتِ مثلًا. نعمْ أنتَ محق. كانت هذه الأبيات خاليةً من الصور الشعرية. وهل هناك المزيد من النصائح؟
- نعم بالطبع. أنصحُكِ جدًّا أن تتعلمي أوزانَ الشعر. هو علم ليس بالسهل بالطبع، فهناك أشخاص بالغون يجدون صعوبة كبيرة في تعلم هذا العلم، لكن أعرف أنكِ يمكن أن تفعلي هذا.
- هل يمكن أن تساعدني يا أستاذي؟
- نعم يا يُمنى. يمكنني ذلك. هل هناك حصص يمكنك أن تستغني عنها لكي أشرح لك مثل هذه الأمور؟
- نعم، يمكنني هذا.
- حسنًا اتفقنا.

كانت يُمنى تظن أن الأبيات التي كتبتها في غاية الروعة لدرجة أن الأستاذ لن يقول لها أي ملحوظة تخصها. كانت تبالغ قليلًا في الثقة في قدرتها على الكتابة، ولم تكن تظن أن هناك ما يشوبها. لكنها كانت ممتنَّة

بأي حال لأستاذ محمود؛ لأنه سيساعدها في أن تضع قدميها على أول الطريق.. طريق الشعر.

الفصل الحادي عشر

انتهت فترة العقوبة التي عوقبت بها أمينة، وعادت مرةً أخرى إلى المدرسة وإلى اصطحاب يُمنى في مشوار الذهاب والعودة، وحكت يُمنى لشقيقتها عن أحداث الأسبوع، وكيف أن سارة وجنى تمارسان معها المضايقات المعتادة رغم أنها حاولت قدر استطاعتها تجاهلهما، كما حاولت يُمنى أن توثق علاقتها أكثر برُبا، وبدأت فعلًا تنمو صداقةٌ بينهما لدرجة أثارتْ غيرة أمينة نوعًا ما. كانت أمينة راضيةً تمامًا عن طبيعة العلاقة بينها وبين أختها الصغرى، تلك الطبيعة التي تعتمد على الحماية والرعاية، وكانت نوعًا ما تحب أن تكون الوحيدة التي تعتمد عليها يُمنى في كل شيء، لكنها لم تكن تريد أن تشعر يُمنى بالوحدة بأي حال، فأبدت سعادتها لهذه الصداقة الجديدة التي نشأت وأخذت تنمو بينها وبين ربا.

كانت سارة وجنى تعلمان جيدًا اليوم الذي تعود فيه أمينة إلى المدرسة بعد انتهاء عقوبة الفصل، فتآمرت الفتاتان على تلقين أمينة ويُمنى كذلك الدرس الذي تستحقانه من وجهة نظريهما. فقررتا بالتعاون مع باقي البنات في "مجموعة سارة" -كما أصبح يُطلق على هذه المجموعة من الفتيات- أن تنتظر وقت الراحة الذي بعد الحصة الرابعة، وهذه المرة لن ترحم سارةُ أمينةَ وأختَها يُمنى، وسوف يجتمعن عليهما حتى يُلَقِّنَّهَمَا درسًا لا تنسيَانِه أبدًا.

انتظرت سارة خروج يُمنى من الفصل متجهةً إلى الفناء، وكانت تعلم أن أمينة لا بد أن تصطحب يُمنى بعض الوقت خلال فترة الراحة أو "الفسحة"، فاجتمعن معًا وسِرْنَ في صف متجهاتٍ إلى الأختين، وبدأت سارةُ بمضايقة يُمنى أوَّلًا، فأمسكتها من ذراعها المبتورة وجذبت ملابسها بشدة حتى ينكشف الجزء المتبقي منها لتجعلها تبكي، على أن تقوم الفتيات الأخريات بضرب أمينة كما فعلت فيها من قبل.

حدث بالفعل ما خططت له سارة بدقة، وكانت سارة حريصة جدًّا على أن يحدث كل شيء بسرعة، وفي مكان في معزل عن باقي الفتيات حتى لا يكون هناك شهود على ما يحدث، صرخت أمينة من الألم، لكن جَنى عملت على تكميم فمها حتى لا يسمعها أي أحد، وأخذْنَ يَكِلْنَ لها الضربات في بطنها وكتفيها وظهرها وأسرعن بالفرار. فكانت النتيجةُ انخراطَ يُمنى في البكاء، وانهيار أمينة من الآلام المبرحة التي شعرت بها.

شعرت أمينة بغضبٍ بالغٍ لم تشعر به من قبل في حياتها. شعرت وكأن كل مشاعر الألم التي ربما مرت بها حياتها قد تركزت في بطنها الآن بعد هذا الضرب المبرح الذي تلقته، لكنها قررت أن تتحامل على نفسها وسارعت باحتضان شقيقتها قائلة:

- أرجوكِ يا يمنى لا تبكِ. هذه الدموع غاليةٌ جدًّا لا تضيعيها على من لا يستحق. أتسمعين؟
- .....
- أعرف كم تتألمين يا يُمنى، ولكن أرجوكِ توقفي عن البكاء.
- أشعر بأن الدموع تنزل من عَيْني رغمًا عني. لا أستطيع التوقف عن البكاء يا أمينة. لا أستطيع!

مسحت أمينة دموع يُمنى بأصابعها الرقيقة، وقالت لها بِتَحَدٍّ:

- سوف تَرَيْنَ ما الذي سأفعله.
- أرجوكِ يا أمينة. هذا يكفي. لقد مللت كل هذا. مللت السخرية، ومللت الألم، ومللت المضايقات. مللت المدرسة ومللت الحياة أيضًا. أشعر أنني لا أريد أن أعيش.
- لا تقولي هذا. لا تدَعِي فتاة مثل سارة تهزمك.
- مللت كل شيء يا أمينة. لا أريد أن آتي للمدرسة مرةً أخرى.

مر هذا اليوم القاسي بصعوبةٍ بالغةٍ على الفتاتين. كانت أمينة قد قررت ألَّا تشكو سارة؛ لأنها كانت تريد أن تنتقم منها بمعرفتها، أما يُمنى فكانت لا تستطيع التوقف عن البكاء، فظلت تبكي وتبكي حتى أن كل مَنْ في الفصل باستثناء "مجموعة سارة" كان يريد معرفة ما الذي أصابها. كُنَّ يَرْبِتْنَ على ظهرها ويحاولْنَ أن يجعلْنَهَا تتوقف عن البكاء، لكن كل المحاولات باءت بالفشل. انتهى اليوم الدراسي وعادت يُمنى إلى البيت وارتمت في حضن أمها.

الفصل الثاني عشر

"أمي، أنا لن أذهب للمدرسة مرةً أخرى. لا أريد أن أرى أحدًا. حقًّا لا أريد هذا أبدًا. لن أذهب للمدرسة وسوف أذاكر في المنزل."

بدت يُمنى صارمةً جدًّا في القرار الذي اتخذته. ونظرت لها أمُّها نظرةً حانيةً جدًّا. دفنتها في حِضنها وأطبقت بشدة على ظهرها. كانت لا تريد أن تُفلِتها. تمنت الأم في هذه اللحظة لو كان بإمكانها أن تُخبئ يُمنى بداخل حضنها إلى الأبد. تمنت أن تحميها دائمًا وأبدًا من كل ما يؤذيها في الحياة، لكنها تعلم أن هذا مستحيل. كانت ستفلت من الأم دمعةٌ، لكنها بذلت جهدًا كبيرًا كي تحبسها في عينيها. أرادت أن تبدو قويةً في عيني يُمنى دائمًا؛ لأنها تعتبر نفسها الحصن الأساسي لها.

فكرت الأم كثيرًا في الردِّ المناسب، وقررت أن تُوَافِقَ على قرار يُمنى بشكل مؤقت؛ فهي تعلم جيدًا أن يُمنى تحملت كثيرًا في سنواتِ الدراسة، وأن كَمَّ المضايقات التي تعرضت لها لا حصر لها، وتعلم أن هناك بعض الأولاد والفتيات الذين لا يمكنهم تقبل فكرة الاختلاف؛ لذلك فهم ينفرون من كل شخص مختلف عنهم في الشكل أو السلوك. لكنها تعلم جيدًا أن هذا ليس الحل. لا بد أن يكون هناك حلٌّ أكثر عملية. لا بد أن تساعدها أن تواجه الحياة فيما بعد؛ لذلك فالاختباء ليس هو الحل المثالي.

قررت الأم أن تتوجه مرةً أخرى إلى مدير المدرسة وتطلب منه تنظيم ندوات توعية. لا تعرف الأمُّ كيف سيكون رد فعل المدير تُجَاه هذا الاقتراح، لكنها قررت المحاولة بأي حال.

لكنها لا تعلم كيف يمكن إقامة هذه الندوات، ومن الشخصيات المناسبة التي يمكن أن تقوم بهذه الندوات؛ بحيث تُحدِثُ تأثيرًا حقيقيًّا لدى تلاميذ المدرسة، فهي لا تفكر في يُمنى وحدها، فهناك الكثير من

الفتيان والفتيات الذين لديهم مشكلة ما، مشكلة "الاختلاف" بصورة أو بأخرى، وهي تريد بالفعل مساعدة كل هؤلاء.

لكن الأم تريد الآن أن تركز على حالة يُمنى النفسية، وتريد أن تساعدها بالفعل في تخطي هذه الأزمة. توجهت يُمنى إلى غرفتها ونامت على فراشها، وأغرقت الوسادة بالدموع الحارة. كانت الدموع تنساب من عينيها دون إرادة منها، ودون أن تتحكم فيها، وظلت تبكي حتى آلمتها عيناها جدًّا. خافت يُمنى على عيْنَيْها، وحدثت نفسها أنها لا تريد أن تكون كفِيفَةً أيضًا، فكيف سيكون الحال معها إذا كانت كفيفة إلى جانب ذراعها المفقودة؟! نهضت من الفراش ونظرت لنفسها في مرآة الغرفة، فوجدت أن عينيها حمراوان بشدةٍ من كثرة البكاء، كما احمر طرف أنفها للسبب ذاته.

هنا قررت يُمنى على الفور التوقف عن البكاء:

"لا أريد أن أفقِدَ بصري أيضًا. بصري هو أغلى ما أملك الآن ولن أفقده. فلأتوقف عن البكاء وأتوقف عن السخافة التي أنا عليها. البكاء لن يُجدي. لن يساعدني في شيء. صحيح أشعر بتحسنٍ نوعًا ما بعد هذا البكاء، لكن لا يمكن أن أستمر هكذا طَوَال اليوم." هكذا قررت يُمنى بعد هذا اليوم العصيب.

أخرجت يُمنى كتابًا بسيطًا يتحدث عن الأوزان الشعرية كان أعطاه لها الأستاذ محمود، وكانت عيناها ما زالتَا تؤلمانها بشدة، ففتحت الكتاب وأخذت تطالعه، لكنها وجدت صعوبةً كبيرةً في متابعة ما تقرأ، أوَّلًا لأن عينها تؤلمها، وثانيًا لأنها لا يمكن أن تركز تمامًا؛ فما زالت حالتها النفسية لا تسمح لها بالتركيز في شيءٍ آخر سوى ما حدث اليوم من سارة ورفيقاتها.

"ماذا أفعل الآن؟ أنا لا أريد أن أذهب للمدرسة مرة أخرى. لا أدري إن كانت أمي ستسمح لي فعلا بهذا أم أنها فقط تتظاهر بالموافقة. لكني في الوقت ذاته أريد أن يساعدني الأستاذ محمود في موضوع أوزان الشعر هذه. أريد أن أكتب شِعرًا جميلًا كالذي أقرأه."

دخلت الأم إلى الغرفة وقاطعت أفكار يُمنى قائلة:

- حبيبتي، كيف حالك الآن؟ يااااه! انظري إلى عينيكِ. إنهما حمراوان جدًّا. هل تؤلمانك؟

- نعم يا أمي.

- إذًا، سأحضر لك قطرةً كي تضعيها. سوف تهدئ هذا الاحمرار.

- حسنًا يا أمي. شكرًا لكِ يا حبيبتي. أحبكِ كثيرًا يا أمي.

- وأنا أيضًا يا حبيبتي.

وتبادلتا العناق لفترة طويلة، أطالت فيه الأم النظر إلى يُمنى، ثم تشجعت وقالت لها أخيرًا:

- هل ستمتنِعين عن الذهاب إلى المدرسة حقًّا يا يُمنى؟

- نعم، لا أريد أن أرى أي أحد بعد الآن.

- وإلى متى يا بُنيتي؟

- لا أدري يا أمي. ولكني لا أريد أن أذْهَب للفصل مرةً أخرى. لا أريد أن أتعامل مع أحدٍ.

- حسنًا يا يُمنى، سأتركك عدة أيام، لكن لا بد أن تعلمي أن هذا ليس هو الحل. علينا أن نجدَ حلًّا عمليًّا للحياة بصفة عامة. أنتِ ما زلتِ صغيرةً يا حبيبتي، والحياة مليئة بالمفاجآت وأيضًا بالاختبارات، وسوف أساعدك إلى أن تتحسن حالتكِ النفسية، لكن علينا أن نجد حلًّا في المستقبل. اتفقنا؟

- .....

- اتفقنا؟

- لا أدري يا أمي. لا أدري حقًّا. أنا لا أريد العودة للمدرسة. لكن في الوقت ذاته أحب أساتذتي كثيرًا، وأنا أحتاج إلى مساعدة الأستاذ محمود معلم اللغة العربية.
- حقًّا؟ كنت أظن أنكِ متفوقة في اللغة العربية، وليس لديكِ مشاكل فيها.
- نعم يا أمي. هذا صحيح، لكن أريده أن يساعدني في شرح بحور الشعر.
- بحور الشعر؟ وما بحور الشعر يا صغيرتي؟ هل للشعر بحور؟
هنا شعرت يُمنى بالفخر أنها تعرف معلومة لا تعرفها أمها، فقالت بكل ثقة:
- نعم يا أمي بالطبع، الشعر يُكتب بطريقة معينة وبوزن معين، وهذا علم كبير جدًّا يا أمي.
تابعت الأم كلام ابنتها بكل اهتمام. ومضت يُمنى تقول:
- أتدرين؟ لقد أخبرني الأستاذ محمود أن الكثير من البالغين يجدون صعوبة شديدة في فهم هذا العلم وتعلمه، لكنه واثق من أنني يمكن أن أفهمه.

بدَا على الأم الفخرُ بابنتها والاندهاشُ في الوقت ذاته، فهي كانت تعرف جيدًا محبتها للشعر، وجعلتها يُمنى تقرأ بعض الأشعار التي تحاول كتابتها. لم تكن تعرف أنها بالفعل موهوبة لهذه الدرجة. كانت تتمنى فقط ألَّا يكون الأستاذ محمود مبالِغًا في تقييمه لموهبة يُمنى، فهي لا تريد لها الإحباط.
- هذا شيء رائع يا يُمنى. حسنًا. يمكننا الاتصال بالأستاذ محمود ونرى إذا كان بإمكانه أن يعطيكِ درسًا في أنهار الشعر هذه؟
لم تتمالك يُمنى نفسها من الضحك، وضحكت ضحكةً مجلجلةً أسعدت أمَّها كثيرًا، لكنها اندهشت، فتساءلت:
- هل قلتُ شيئًا مضحكًا لهذه الدرجة؟

- يا أمي، اسمها بحور الشعر وليست أنهار الشعر. وارتسمت على وجهها ابتسامة كبيرة مرة أخرى سَرْعان ما تلاشت بعد أن تذكرت ما حدث خلال اليوم.

- حسنًا يا جميلتي. بحور الشعر. سأحاول تذكر هذا الاسم، فهو غريب نوعًا ما بالنسبة لي، وسأرى ما الذي يمكن أن نفعله حتى يساعدك الأستاذ محمود.

الفصل الثالث عشر

تنسى أحيانًا فاتنُ والدةُ الفتاتين بنتها الكبرى أمينةَ رغمًا عنها؛ فخوفها، بل وجزعها على كل ما يتعلق بيُمنى يجعلانها تنسى أمينة في أحيانٍ كثيرةٍ. صحيح أن يُمنى هي التي تتعرض للجزء الأكبر من الأذى والألم، إلا أن أمينة قطعًا هي الأخرى لديها آلامها وأحزانها الخاصة.

دخلت فاتن إلى غرفة الفتاتين بعد ساعةٍ تقريبًا من جلوسها مع يُمنى، فوَجَدَت أمينة في حالة ثورةٍ هائلة، فهي تجلِسُ على مكتبها وتهز ساقَيْهَا بعصبيةٍ شديدةٍ وتحاول المذاكرة، وأخذت تحاول جاهدةً التركيز وعدم التفكير كثيرًا فيما حدث في هذا اليوم الحزين، لكنها لم تستطع أن تُبعدِ عن ذهنها الأذى الشديد الذي تعرضت له هي الأخرى، والضرب المبرح والألم البدني والنفسي الشديدين اللذين شعرت بهما.

قالت فاتن لأمينة:

- كيف حالك يا بنيتي؟

لم ترد أمينة.

حاولت جاهدة أن تتحدث معها أو أن تفْتَحَ معها حوارًا، لكن كل محاولاتها باءت بالفشل. أخذت أمينة تهز ساقيها بعصبيةٍ شديدةٍ جدًّا مرة أخرى.

سألتها فاتن:

- أَلا تَرُدِّينَ علَى حبيبَتِكِ؟

رفعت أمينة نظرَهَا إلى أمها وعيناها مغرَوْرَقَتان بالدموع، وكانت تحاول أن تحبسها؛ حيث اعتادت أن تظهر بمظهر القوة، لكن حُمرة عينيها كشفت ما بها، فأسرعت فاتن واحتضنت أمينة بشدة، احتضنتها وأخذت تَرْبِتُ على ظهرها؛ لتطمئنها وتقول لها إنها دائمًا بجانبها وألَّا تخشى شيئًا. انهارت أمينة وأجهشت بالبكاء وانْتَحَبَتْ وارتفع صوتُ

نحيبها، فأخذت فاتن تربت على ظهرها وتحتضنها بشدة، وحاولت أن تتمالك نفسها هي الأخرى حتى لا تبكي.

- لقد تعبْتُ يا أمي، أنا أيضًا تعبتُ. تعبتُ من الاهتمام بيُمنى ومن الدفاع عنها. أنا أحبُّها وأخاف عليها طبعًا، لكنني تعبت. لم أَعُدْ أستطيع الاستمرار.

- هوني عليكِ يا بنيتي.

- أنتِ دائمًا تُوصِيني على يُمنى وتقولين لي أنني يجب أن أرعاها وأهتم بها، لكن ماذا عني أنا؟! من يهتم بي ومن يحميني؟!

- اللهُ معنا كلنا يا حبيبتي. ليس لنا سواه.

ابتسمت أمينةُ ابتسامةً تدل على المرارة الشديدة، وعلى قدر من الشك فيما تقوله الأم. فهمت الأم ما تفكر فيه أمينة، فقالت لها:

- نحن نكمل حياتنا حتى الآن حتى بعد وفاة والدكما بفضل الله وحده. نحن الثلاثة نكافح ونصارع حتى نعيش حياةً طبيعيةً نوعًا ما. أدري أنني أحيانًا أحملك فوق طاقتك يا بنيتي، سامحيني، لكن ليس لنا سوى الله سبحانه وتعالى.

أطرقَتْ أمينةُ رأسها، ومسحت الدموع التي تنهمر على خديها بغزارة شديدة:

- سامحيني يا حبيبتي، أنا فعلًا أنساكِ أحيانًا وسط مشاكل يُمنى ومتطلباتها. سامحيني يا حبيبتي. لكني أعدُكِ من الآن فصاعدًا ألَّا يحدث هذا مرةً أخرى.

تبادلت الأم والابنة العناق. لم تكن فاتن تعرف بالقدر الكافي كيف يمكنها التصرف في الوضع الصعب الذي أصبحت الفتاتان فيه وكيف يمكن أن تساعد يُمنى على مواجهة الحياة؟ وكيف تجعل أمينة تعيش حياتها دون أعباء زائدة؟

قالت فاتن لنفسها:

"الله المستعان. لقد مر ما هو أسوأ من ذلك. كل مُر سيَمُر إن شاء الله."

الفصل الرابع عشر

لا تحب فاتنُ قلة الحيلة؛ لذا فهي تحاول أن تجد مخرجًا وحلولًا لهذه المشاكل الكثيرة، وعدم تقبل البنات في فصل يُمنى لابنتها وإيذاء بعضهن لها، وتذكرت أنها شاهدت في أحد الأيام شخصًا يتحدث على شاشات التلفزيون عن فكرة الإعاقات المختلفة، والمشاكل التي تواجه ذوي الإعاقة، وكيف أن هناك حاجةً للمجتمع لتقبل من يختلفون عن باقي الناس، ففكرت فاتن في أن تبحث عن هذا الشخص؛ لعلها تتمكن من مقابلته أو التحدث معه.

أخذت فاتن تبحث عن هذا الشخص على وسائل التواصل الاجتماعي، استعانت بفيسبوك، وحاولت البحث عن اسمه بكل الطرق، بالكتابة بالعربية وبالأجنبية، وأخيرًا أفلحت مساعيها وتمكنت من العثور على حساب باسمه، ووجدت صورته التي تعرفها جيدًا، فقررت أن ترسل له رسالة على صفحته على فيسبوك، ولن تخسر شيئًا، إن أجاب فخير، وإن لم يجب فلا مشكلة.

أرسلته له رسالة هذا نصها:

"الأستاذ أحمد الْمُنجي، أنا والدة يُمنى التي تعاني من إعاقة بسبب عيب خِلقي، فقد وُلدت بدون ذراعٍ يُمنى، وأحتاج إلى تنظيم ندوات توعية لتلاميذ المدارس وآبائهم حول الإعاقات المختلفة، وضرورة تقبل هذه الإعاقات والتعامل معها دون إيذاء لأصحابها. ابنتي تعاني بشدة في مدرستها، فإذا كانت هذه الفكرة مناسبة لك أرجو أن ترد علي، ونحاول الاتفاق على كيف يمكن تنظيم مثل هذه الندوة. شكرًا لك."

تواصلت فاتن كذلك مع الأستاذ محمود وأوضحت له أنها تريد مساعدته في تعليم يُمنى "بحور الشعر"، وشرحت له أنها تحب الشعر وأنه أصبح

شغلها الشاغل، فوعدها بأنه سيقدم لها المساعدة، وأن بإمكانه الحضور إلى المنزل لإعطائها دروسًا في الشعر، فرحبت بالفكرة جدًّا.
في ذلك اليوم، كانت أمينة قد توجهت إلى المدرسة، بينما مكثت يُمنى في المنزل؛ لأنها لا ترغب في الذهاب، فوجدت يُمنى تقترب منها وتحدثها بروح جديدةٍ تمامًا، وقالت لها:
- أمي، حبيبتي. أنا لدي فكرة رائعة.
- ما هي يا حبيبتي؟
- فكرت أن أقدم الدعم لكل من لديه إعاقة وأن أساعده.
- كيف هذا؟
- أنا لم أحدد بعد كيف يمكنني أن أفعل هذا، لكنني عازمة عليه لا شك. أتدرين يا أمي؟ لقد مللت فكرة الضعف، وفكرة شعوري بأن لديَّ مشكلةً ما. أتدرين شيئًا؟ لقد رأيت كذلك على فيسبوك أطرافًا صناعية تبدو نوعًا ما مثل الأطراف العادية. هل تظنين يا أمي أن بإمكاننا في يوم من الأيام أن نحصل على مثل هذا الطرف؟
- ممكن يا حبيبتي. أعرف أنها باهظةُ الثمن، لكن دعيني أحاول البحث؛ لمعرفة ماذا يمكن أن نفعل، وبالنسبة لفكرتك عن دعم الآخرين ممن لديهم إعاقة، فهي فكرة رائعة. أتدرين شيئًا يا حبيبتي؟ أفضل شيء هو الإيجابية، أن نفعل شيئًا وألَّا نقضي وقتَنَا كله في الشعور بالحسرة والألم، فالعمل هو ما يجعلنا نشعر بأننا لا نقل عن غيرنا في شيء. أنتِ يا حبيبتي فقط مختلفة ولا ينقصك شيءٌ. أنتِ فتاة متفوقةٌ وأيضًا جميلة.
- أنا جميلة يا أمي؟ أتظنين ذلك حقًّا؟
- طبعًا يا حبيبتي، ألا تنظرين في المرآة وترين بنتًا جميلة؟
- لا أدري، كلما نظرت إلى المرآة لا أنظر لوجهي، بل أنظر إلى ذراعي الناقصة.

- أنتِ جميلة يا يُمنى، فوجهك جميل، لكن الأهم هو أن لديك روحًا جميلةً. قلبُك نقي ولا تحبين إيذاء أحد رغم المشاكل التي تواجهك أحيانًا. بل إنك أيضًا تحبين مساعدة غيرك. أتذكرين عندما كنتِ طفلة صغيرة، وكم كنتِ تحبين مساعدة غيرك؟ كنتِ تحبين جدًّا أن تحملي الأشياء الثقيلة عني بيدك اليسرى؟ كنتِ دائمًا تبادرين بالمساعدة يا حبيبتي.
- كنتُ أفعل هذا حقًّا يا أمي؟ لا أذكر جيدًا.
- نعم، وأي أحد من الجيران عندما تجدينه يحمل شيئًا كنتِ تسرعين لتحملي عنه ما يحمل كنوع من المساعدة. كنت تحزنين بشدة عندما كان يرفض أحدهم المساعدة التي تريدين أن تقدميها وتبكين بشدة.

ضحكت يُمنى من نفسها ومن هذه البراءة الساذَجَة، فهي تظن الآن أنها كانت تبالغ في قدراتها وإمكاناتها، وأنها لا تستطيع الآن أن تحمل شيئًا عن أحد.

وكأن أمها تعرف ما الذي تفكر فيه، أو أنها تقرأ أفكارها، فقالت لها:
- أتدرين يا يُمنى؟ يمكنك ذلك الآن. أنتِ الآن أكبر وأقوى، وبإمكانك أن تفعلي هذا بسهولة قدر استطاعتك. ممكن جدًّا إذا لمحتِ إحدى الجارات وهي تحمل شيئًا ثقيلًا أن تسأليها إن كانت تحتاج للمساعدة.
- لكن يا أمي سوف يحرجْنَنِي ويرفضْنَ المساعدة التي أقدمها.
- لا تخشي شيئًا. لن يحدث هذا إن شاء الله.
- حسنًا يا أمي، سأجرب.

الفصل الخامس عشر

حضر الأستاذ محمود إلى منزل يمنى في اليوم المتفق عليهِ، وبدأ يشرح لها هذا العلم الذي يعجِزُ بعض الكبار عن فهمه واستيعابه، لكن الأستاذ محمود كان متحمسًا لذلك جدًّا، وكان يتنبأ ليُمنى بموهبةٍ كبيرةٍ. كما أنه قرر تشجيعها على المشاركة في مسابقات الشعر التي يُعلَن عنها سواء في مصر أو خارجها، ويمكنها جدًّا أن تشارك في إحدى المسابقات، وترسل أشعارها وتجرب.

بدأ الأستاذ محمود في شرح بحور الشعر ليُمْنَى، وأفهمها معنى التفاعيل، وكيف يُمكنها أن تؤلف قصيدة ما فتكون موزونة، وأخبرها أن بحر "المتقارب" ربما يكون أسهل هذه البحور، وأن التفعيلة في هذا البحر "فعولن" وهي تتكرر....

لم يكن بالعلم السهل، ولم تستوعبه يُمنى بسهولةٍ، لكنها كانت تسعَى جاهدةً لذلك، فعندما كان يشرح الأستاذ محمود تصبح كلُّها آذانًا صاغيةً، وتحاول استيعاب ما يُقال لها وتجرب، تخفق مرةً وتنجح أخرى، ويصحح لها الأستاذ محمود، ويشرح كيف تضبط البيت على هذا الوزن.

طلب منها الأستاذ محمود أن تفكر في قصيدةٍ من بحر المتقارب، وأن تتحدث هذه القصيدة على سبيل المثال عن الأم وحنانها، أمعنت يُمنى التفكير، وكتبت ومسحت ما كتبته كثيرًا، إلى أن استقرت على قصيدةٍ هذه مطلَعُهَا:

وكيفَ تطيبُ الحياةُ بدُونِكْ * وكيفَ هِيَ الأيامُ الخَوَالي
فرُوحِي تهيمُ بِروحِكِ لَكِنْ * يَعِزُّ الكلامُ كَفَرْطِ اللَّآلي

ساعدها الأستاذ محمود على ضبط قصيدتها مما أسعدها كثيرًا. تابعت الأمُّ فاتن مسار الدرس ولم تفهم كثيرًا ما يقوله الأستاذ محمود، ووجدت أن هذا العلم شديد التعقيد بالنسبة لها، وأُعجبت كثيرًا بمقدرة

يُمنى على استيعاب هذا العلم الصعب، خاصة بالنسبة لطفلة في عمر 11 سنة. ومع مرور الوقت استطاعت يمنى الكتابة على بحور الشعر المتنوعة؛ ما أدهش الأستاذ محمود نفسه لسرعة تعلمها وحضور ذهنها.

أُطَوِّفُ ما أُطَوِّفُ في الليالي * فَلا يَدري سِوى دَمْعِي بحَالِي
أُقاسِي وَحْدَتِي والكُلُّ حَوْلي * كطَيْفٍ لاحَ مِنْ نسْجِ الخَيَالِ
وأُخْفِي عَبْرتي فَيَنُوءُ قَلْبي * بأَوْجاعٍ وأَحْمَالٍ ثِقَالِ
فَلا أنا بينَهُم فأعِيشُ يوْمِي * ولا وَحْدِي أُكَابِدُ ما جَرَى لِي

انتظرت الأمُّ فاتن ردًّا من الأستاذ أحمد الْمُنجي، وكانت بين كل فترة وأخرى تفتح فيسبوك؛ لترى إذا كانت قد تلقت ردًّا، وتشعر بالإحباط عندما لم تجد إشعاراتٍ منه، وأخيرًا وجدت فاتن ردًّا على رسالتها كان هذا نصها:

"سيدتي الفاضلة، يُسعدني جدًّا التعاون معك، وأتمنى تغيير هذا الواقع، أنا متاح صباح كل سبت، ويُسعدني التواصل مع إدارة المدرسة."

سُرَّتْ فاتن جدًّا لهذه النتيجة، ولم ترغب في أن تخبر يُمنى بهذه الفكرة حتى لا تُحبط إذا لم تسر الأمور كما خططت لها، وقررت أن تتفق على كافة التفاصيل دون إشراك الفتاتين في البداية؛ لترى كيف سيتطور الوضع.

تمارس فاتن عملًا بالمنزل كي تكفل ابنتيها، وفي الوقت ذاته تضمن أنها ستظل معهما لترعاهما؛ لذلك كان من السهل أن تتوجه إلى المدرسة صباح اليوم التالي، وتحججت بشيء آخر ليُمنى.

وصلت إلى المدرسة وتمكنت من مقابلة الناظر، الذي بدوره تحدث معها عن كيف أن غياب يُمنى غير مقبول، وأنها يُمكن بهذه الطريقة أن تُفصل من المدرسة بسبب استنفاد أيام الغياب المسموح بها، فما كان من فاتن إلا أن سردت له معاناة يُمنى داخل الفصل وداخل المدرسة ككل،

وكيف أن للمدرسة دورًا كبيرًا في منع هذه المضايقات التي تتعرض لها، هي وأي بنت أو ولد يعاني اختلافًا ما.

سألها الناظر: كيف يمكن أن تساعد المدرسة في ضبط سلوكيات التلاميذ والتلميذات؟ فاقترحت عليه فكرة تنظيم ندوة تشمل العدد الأكبر من المعلمين والطلبة وآبائهم، خاصة في الفصول التي يوجد بها أولاد أو بنات يعانون نوعًا من الاختلاف. فكَّر الناظر كثيرًا وكان ينوي بالرفض، لكنه تراجع في اللحظة الأخيرة. صمت بُرهة ثم أجاب قائلًا:

- سيدتي هذه فكرة رائعةٌ، لكن أظن أنها ليست مَهَمَّة المدرسة.

- مَهَمة مَن إذًا سيدي الفاضل؟

- لا أدري، لكن المدرسة مَهمتها الأساسية تعليم الأولاد.

- لكنكَ تنسَى شيئًا مُهما، وهو أن الوزارة اسمها وزارة التربية والتعليم، فالتربية قبل التعليم.

- ربما تكونين محقَّةً سيدتي، لكن الواقع غير ذلك، فلم تعد المدارس تقوم بهذا الدور.

- أدرك أن العبء الملقى على المدارس كبيرٌ، ولكنَّ هؤلاء الأطفال يضيعون. إن نفسياتهم تتحطم بسبب قلة الوعي، وبما أن هذا يحدث داخل المدارس فمن بابٍ أولى أن تقوم المدرسة بحملات توعية للحد من هذه الظواهر.

- حسنًا سيدتي، دعيني أفكر في الأمر، وسأرد عليكِ خلال يومين.

- شكرًا يا سيدي. شكرًا على مقابلتك وشكرًا على وقتك.

- عفوًا. مع السلامة.

شعر الناظر بحَيرةٍ كبيرةٍ، فالأعباء الملقاة على المدرسة وعلى المعلمين كبيرةٌ جدًّا، المناهج ثقيلةٌ على الأولاد والبنات، والضغط شديدٌ على المعلمين لدرجة أن أغلبهم لا يلتفت لمثل هذه المشاكل الاجتماعية

والنفسية التي يواجِهُها بعض الأولاد والبنات. نعم هو يدرك المشكلة، لكنه لم يفكر في الحل؛ لأن لديه مجموعةً أخرى من المشاكل يشعر أنها أولى بالتفكير. وليست هذه هي المرة الأولى التي يطلب فيها بعض أولياء الأمر مثل هذا الطلب، فيُمنى لم تكن الطالبة الوحيدة في المدرسة التي تعاني من مشكلة، بل هناك عدد منهم. بدأ الناظر يشعر بأن الضغوط تتزايدُ عليه، وأن تجاهل المشكلة لم يعد ممكنًا أبدًا، فتحدثت معه والدة يُمنى عن الأستاذ أحمد الْمُنجي، وفهم منها الدور الذي يمكن أن يقوم به.

قرر أن يبحث بنفسه عن هذا الرجل ويفهم طبيعة عمله بالتحديد، فشاهد عددًا من لقطاتِ الفيديو الموجودة على يوتيوب، التي يتحدث فيها الرجل عن مشكلة ذوي الإعاقة بصفة عامة، وعن مشكلة الأولاد والبنات داخل المدارس، والمشاكل العديدة التي يواجهونها.

شعر الناظر بغصة في حلقه بسبب هذا الرجل، فوجد أنه سيتخذ منه موقفًا معاديًا؛ لأنه يواجههم بالمشكلة دون أن يتحدث كثيرًا عن الحل، أو أن الناظر لا يتصور أنه كناظر إحدى المدارس جزء من هذا الحل، فأخذ يفكر بعناية وقرر أن يُشرك معه نائبته. كان هناك قرار مشترك بينهما أن يحاولا التنسيق مع الأستاذ أحمد الْمُنجي لعقد ندوة توعية حول المشكلة بحضور التلاميذ وآبائهم.

الفصل السادس عشر

في اليوم المتفق عليه لعقد الندوة، حضر الأستاذ أحمد، وكان هناك تنويه عن الندوة، وتم التشديد على التلاميذ وآبائهم للحضور، خاصة في الفصول المعروف أنها تضم أولادًا وبناتٍ من ذَوِي الاختلاف أيًّا كان هذا الاختلاف. حضر الآباء ومعهم أبناؤهم إلى مسرح المدرسة حيث ستقام الندوة، كما حضر الأستاذ أحمد في الموعد، واصطحبت فاتن الفتاتين دون أن تُعلمهما.

أطال أحمد الْمُنجي الحديث عن الإعاقات المختلفة، وماذا يعني أن يكون لدى شخص ما إعاقة معينة. كما تحدث عن الإعاقات التي يولد بها الشخص والإعاقات التي يُمكن أن يصاب بها الإنسان في أي مرحلة من حياته، وأوضح للجميع كيف أن الإعاقات يمكن أن تحدث لأي شخص تحت أي ظرف، وفي أيٍّ من مراحل عمره، وأنه ليس من المروءة إساءة معاملة من يعاني من الإعاقة، كما أن الشخص الكامل عند الله هو الشخص التقي، وليس الشخص الذي ليس لديه إعاقة، فربما يكون الشخص معافًى بدنيًّا وذهنيًّا؛ لكنه ليس ممن يحبهم الله سبحانه وتعالى بسبب سلوكه.

تطرق أحمد الْمُنجي إلى ذوي الإعاقة في عصر الرسول صلى الله عليه وسلم، وكيف كان يعتمد على بعضٍ من ذوي الإعاقة في تسيير شؤون المسلمين، مثلما فعل مع عبد الله ابن أم مكتوم عندما طلب منه رعاية شؤون المدينة في غيابه صلى الله عليه وسلم وقت فتح مكة، فوجد أحمد عيون الصغار بالتحديد تلمع بنظرات الاندهاش والتعجب. كانت هذه معلومات يسمعونها للمرة الأولى، كما وجد تحمسًا وتفاعلًا لدى الآباء.

في ختام الندوة طلب من الحاضرين -خصوصًا ممن ليس لديهم إعاقة- أن يفكر كلُّ شخصٍ منهم جيدًا في عيوبه هو شخصيًّا، وأن يكتبها في ورقة، حتى الأولاد والبنات في المدرسة، وأنه إذا فكر أحدهم في إحدى المرات أن يشعر بالتفوق على شخص يعاني إعاقة لمجرد أنه خالٍ من الإعاقة أن يعود إلى الورقة التي تضم هذه العيوب، وأن يتذكر نقاطَ ضعفه جيدًا، وأن يدرك أن لكل منا عيوبًا ومشاكلَ، وقد تكون ما يشبه الإعاقة الخفية التي لا يلاحظها أحد، فعلينا أن ندرك إمكاناتنا المحدودة كبشر طَوَال الوقت.

أحبَّتْ يُمنى هذه الندوةَ كثيرًا، وشعرت بالفخر بسبب النماذج التي تحدث عنها الأستاذ أحمد الْمُنجي من ذوي الإعاقة الذين كانت لهم إسهامات في تاريخ البشر. هي شخصيًّا لم تكن تعرف الكثير من المعلومات عن هؤلاء، وكانت المعلوماتُ جديدةً بالنسبةِ لها، فشعرت بالفخر؛ لأنها كانت تلك المرة الأولى التي تسمع كلامًا إيجابيًّا عن الأشخاص ذوي الإعاقة، وكانت تجلس إلى جوار أُمها فاحتضنت بشدةٍ ذراعَها اليمنى، فكانت هذه الذراع هي أقرب شيء، أو الشيء الوحيد الذي يمكن أن تحتضنه. كان هذا الحِضن يعني الامتنان من يُمنى لأمها، وكانت تتمنى أن تكون لهذه الندوة أثرٌ على سلوكيات الفتيات في فصلها. هذا كل ما كانت تتمناه.

تبادل ثلاثتهم ـفاتن والبنتانـ النظرات، كانت النظرات تدل على الامتنان والفخر في آنٍ واحدٍ. سألت أمينةُ أمَّهَا:

- أتدْرِين شيئًا يا أمي؟ أعتقد أنكِ الشخص المسؤول عن هذه الندوة، وأنكِ من سعيتِ لها. أليسَ كذلك؟

أطرقت الأم بخجل، ولم تجب.

- كنتُ متأكدةً، هذه أفكارك أنتِ يا أمي. يا أعظمَ أم في الوجود، واحتضنت ذراعَها اليمنى، فقد كانت تجلس إلى يمينها.

علَتِ الحُمرةُ وجنَتَيِ الأم، فهي لا تحب كثيرًا الإطراءَ والمدحَ، كما أنها لا تشعر أنها فعلت شيئًا كبيرًا، فهي لن تتردد في فعل أي شيء من أجل ابنتها، ومن أجل كل هؤلاء الأولاد والبنات الذين يعانون في صمت.

بعد انتهاء الندوة طلب الناظر كذلك من المعلمين الذين حضروا أن يتابعوا أكثر أولئك الأولاد والبنات الذين لديهم مشاكل واضحة، سواء بسبب الإعاقات البدنية أو بسبب بعض المشاكل الدراسية، طلب منهم أيضًا عدم التهاون مع حالات التنمر التي تحدث من بعض الأولاد والبنات تجاه زملائهم وزميلاتهم المختلفين.

الفصل السابع عشر

لم تذْرِ فاتن كيف سيكون أثر تلك الندوة على سلوكيات الفتيات في فصل يُمنى، هل ستساعد تلك الندوة حقًّا في تغيير مواقفهن وسلوكياتهن؟! كما أنها قررت أن تُركب ليُمنى طرفًا صناعيًّا حتى يكون شكلُهَا أقرب إلى العادي، ولا يَلْفت الأنظار فيُؤثر هذا على نفسيتها.

قررت فاتنُ على أي حال أن تُقنع يُمنى بالعدول عن فكرةِ المكوث في المنزل وبالذهاب للمدرسة، وأن تجرب الوضع. سعدت يُمنى بهذا الطرف الصناعي. كان طرفًا صناعيًّا عاديًّا، بمعنى أنه لم يكن باستطاعتها استخدامه كيدها الأخرى، لكن على الأقل يُعطيها الشكل الذي كان ترغب فيه.

فكرت يُمنى كثيرًا في موضوع المدرسة، وسألت نفسها: هل يمكن العودة إلى المدرسة مرة أخرى حقًّا؟ هل من الممكن أن تكون هذه الندوة قد أثرت في الفتيات والفتية في المدرسة، خاصة في فصلها؟ ظل رأيها يتردد بين الموافقة والرفض، ولم تستطع يُمنى تمامًا أن تنسى ما لاقته من معاناة داخل الفصل من سارة وصديقاتها، وسألت نفسها هل يمكن أن تكون قد تغيرت حقًّا؟ أم أن الرغبة في إيذائها ستظل مستمرة معها؟

قالت يُمنى لنفسها أيضًا إنها تفتقد كثيرًا المعلمين والمعلمات، فهي تحبهم جدًّا وهم يحبونها ويساعدونها ويدعمونها، وبدأت تدرك أنها حقًّا متميزةٌ، وأن بإمكانها أن تفعل أشياءَ لا يجيد غيرها ممن هم في مثل سِنها القيام بها، كما أدركت أنها بيدها اليسرى تستطيع أن تفعل كل شيء تريده وزيادة، فهي تحب جدًّا مساعدة الجيران، وقررت أن تحاول فعل ذلك مرة أخرى حتى اكتسبت حبَّ كل من يسكنون معهم في البناية.

لم تنس يُمنى تلك المرة التي أصرَّتْ فيها على حمل أكياس البقالة الثقيلة التي كانت تحملها جارتها في الشقة التي تعلوهم، وأصرت على

حمل الأكياس من "طنط نادية" لدرجة أخجلت السيدة، فقررت الاستسلام، لكن نظرات الشفقة عليها كانت واضحة جدًّا عليها، مع إصرار يُمنى وقوتها وقوة تحملها تحولت نظرات الشفقة لدى "طنط نادية" إلى نظراتِ إعجاب وتقدير، وما أن وصلت يُمنى في ذلك اليوم إلى باب شقة "طنط نادية" حتى وضعت الأكياس على الأرض وحيت جارتها وأسرعت بالنزول إلى شقتها هربًا من أي مكافأة ربما تقدمها لها الجارة الجميلة الطيبة؛ فقد علمتها فاتن أمها أنها يجب ألَّا تنتظر أبدًا مقابلًا نظير ما تقدمه من مساعدة؛ لهذا سارعت بالنزول إلى شقتها بعد أن ودعتها بكل لطف، وكانت تسمع عبارات الإطراء والإشادة وهي تنزل السلم درجةً درجةً، فشعرت بالخجل والفخر في الوقت ذاته.

المهم.. "ماذا أنتِ فاعلة الآن يا يُمنى؟" هكذا تساءلت.

"حسنا، عليَّ أن أواجه الجميع، وربما لابد أن أجرب بنفسي كيف سيكون الوضع بعد تجربة ندوة التوعية التي عقدتها المدرسة، وبعد هذا الطرف الصناعي الذي وضعته لي أمي. سأحاول."

أبلغت يُمنى الأمَّ بقرارها مما أسعدها كثيرًا، وكانت تتمنى من كل قلبها حقًّا أن تَخْرُج يُمنى من حالة العزلة التي فرضتها على نفسها، فهي تعلم أنها لا تميل أصلًا إلى العزلة، ولكن الظروف التي واجهتها داخل الفصل هي التي دفعتها إلى ذلك، كما كانت تتمنى من كل قلبها أن تعود للمدرسة وتجرب مرة أخرى، لكنها لم تشأ أن تضغط عليها بأي وسيلة، ولهذا كان قرارها بأن تسعى لعقد مثل هذه الندوة التي تتمنى أن يكون لها أثر إيجابي.

سعدت فاتن كثيرًا عندما علمت من يُمنى بقرارها العودة إلى المدرسة. فقالت لها:

- هذا خبر رائع يا بنيتي.

- لكني خائفة جدًّا يا أمي.
- مِمَّ يا حبيبتي؟
- أخاف أن تضايقني البنات ثانيةً، لا أدري إن كنت سأتمكن من مواجهة هذا الوضع مرةً أخرى أم لا، لكن على أي حال أحب أن أجرب بنفسي.

أطرقت الأم في هذه اللحظة؛ لأنها شعرت بألم بالغ بسبب ما لاقته يُمنى. لا تستطيع فاتن أن تتحمل كثيرًا منظر يُمنى وهي تعاني نفسيًّا بسبب ما تلاقيه داخل المدرسة، لكنها أحبت أن تشجعها أكثر، وقالت لها:

- دعينا نجرّبْ يا يُمنى يا حبيبتي، وتأكدي أنني سأكون بجانبك في أي قرار تتخذينه.
- حسنًا يا أمي.

الفصل الثامن عشر

في اليوم الأول لعودة يُمنى إلى المدرسة، دخلت الفصل وهي تضع ذلك الطرف الصناعي. دخلت الفصل ورأسها مرفوع عاليًا، لم تطرق ولم تخجل. يُمنى ليستْ خجولةً، لكنها كانت في بعض الأحيان تشعر بالخجل بسبب النظرات المستفزة التي ينظر بها بعضهم إليها، ولم ترد أن تنظر في عيني أيٍّ من زميلاتها في الفصل، فَقَطْ وجهت نظرَها إلى مكان "الديسك" الذي تجلس به في الفصل، فوجدت مكانها خاليًا، ولم تحتَلَّه أي من البنات.

كانت فاتن قد مهدت للمدرسين والمدرسات عودة يُمنى إلى الفصل؛ حتى يساعدوها في أي استعدادات مطلوبة قبل عودتها؛ لهذا وجدت مكانها خاليًا كأنه ينتظرها، كأنه مشتاقٌ إليها. توجهت على الفور إلى مقعدها، ومَرَّ اليوم والأيام التالية بمنتهى السلاسة دون مضايقات، ودون مشاكل بشكل لم تعتدَهْ.

في أحد الأيام غابت أمينة عن المدرسة، وامتدح أستاذ الرياضيات مقدرةَ يُمنى الكبيرة على أداء كل العمليات الحسابية المطلوبة بمهارةٍ فائقةٍ، واختبرها أكثر من مرة واجتازت كل الاختبارات ببراعةٍ، فتمكنت من حل كل المسائل المطلوبة منها. كانت تكتب يُمنى بيدها اليسرى على السبورة ممسكة بالطبشورة بكل دقة. كانت تفكر قليلًا في طريقة حل المسألة ثم تنطلق يدها بسلاسة.

بعض البشر لا يحبون أن يروا غيرهم أفضل منهم بأي حال. سارة، رغم أنها طالبة مستواها فوق المتوسط، إلا أن تفوق يُمنى كان يسبب لها مشكلةً كبيرةً، وفي ذلك اليوم الذي أبدت فيه يُمنى تميزًا واضحًا في الرياضيات، كان هو اليوم ذاته الذي أثار في سارة أكبر قدر من الحقد والغيرة. فكرت سارة في أنها تريد إيذاء يُمنى بأي شكل، وأخذت تفكر

كثيرًا فيما يمكنها فعله حتى تشفي غليلَها من هذا التميز الذي يجعلها تشعر بدونية لا تحب أن تشعر بها على الإطلاق.

أخذت تفكرُ كثيرًا فيما يمكن فعله وهي تدرك جيدًا أن هناك توجيهاتٍ صدرت للمعلمين والمشرفين تحسبًا لأي حالات "تنمر" تحدث داخل الفصول، وأن الإدارة ستواجه أي محاولة من هذا النوع بكل شدةٍ وحزمٍ، وقررت أنها سوف تحاول أن تجذب هذا الطرف الصناعي.

لمحت سارة يُمنى وهي تُري صديقتها رُبا الطرف الصناعي، فرفعت كُمَّ القميص الذي ترتديه ليتضح شكل هذا الطرف الصناعي، وكيف أنه ليس مثبتًا بشكل محكم؛ حيث يمكن خلعه بسهولة.

قررت سارةُ أن تجذب هذا الطرف الصناعي، فاقتربت من يُمنى أثناء الراحة في منتصف النهار، وبينما كانت يُمنى تهم بالخروج من الفصل جذبتها سارة من يدها اليسرى وقالت لها بعنف شديد:

- أتظنين نفسك أفضل من غيرك أم ماذا؟

فردت يُمنى باندهاش:

- هل هذا الكلام موجهٌ لي أنا؟

أجابتها سارة بقدر أكبر من الغضب قائلة:

- نعم أنت يا "أم ذراع مسلوخة" فجذبت الطرف الصناعي ورمته على الأرض وهشمته بقدميها وتعالت ضحكاتها. في تلك اللحظة نظرت سارة حولها محاولة أن تجد من يدعمها من الصديقات في هذه الجريمة التي ترتكبها، لكنها لم تجد أحدًا حولها، حتى جنى أقرب صديقاتها. كان هناك بعض الفتيات المتبقيات داخل الفصل ولم يخرجن بعد. شاهدْنَ ما حدث من سارة، وكُنَّ ينظرن لها بتعجب شديد!

قالت لها رُبا:

- حرامٌ عليكِ، ما الذي تفعلينه؟ ألهذه الدرجة أنتِ قاسية القلب؟

- لم يتبقَّ سواكِ أيتها الفاشلة تتحدثين معي بهذه الطريقة.
- ربما أكون فاشلةً في الدراسة نوعًا ما، لكن على الأقل لدي قلب يمنعني من التصرفات التي لا يمكن أن يأتي بها سوى الشياطين.
- اخرسي، أنا لست شيطانة.
- ربما تكونين أسوأ من الشيطان ذاته.

انهالت سارةُ على رُبا ضربًا وجذبت شعرها بقوة حتى تقطَّع عدد من الخصلات في يدها من قوةِ الجذب، وبدأت الأصوات تعلو والهَمْهَمَات تتوالى بشدة، وتعالت أصوات الفتيات وكلهن تقريبا يقلن كلمة واحدة: "حرام عليكِ".

زادت حدة الأصوات لدرجةٍ جعلت مشرفة الدور تأتي مسرعة، فقد كان المنظر مفزعًا بالنسبة لها، فهناك يد ممزقة على الأرض، وفتاة منهارة، وبنتان تتصارعان، وبعد فترة من الأخذ والرد تمكنت المشرفة من معرفة حقيقة ما حدث، وكان هناك قرار بعقاب شديد خاص بسارة، فتقرر فصلها عن الدراسة لمدة شهر، والعقاب الأشد والأقسى بالنسبة لها هو إجبارها على الاعتذار ليُمنى في طابور الصباح في اليوم التالي.

قرر مدير المدرسة أن يحاول تعويض يُمنى عما حدث لها في ذلك اليوم، وحاول أن يكون محاربًا لمظاهر الإساءة التي ربما يتعرض لها هؤلاء الأطفال الذين لا ذنب لهم في الاختلافات الموجودة لديهم، وكان يدرك أن يُمنى ستقررُ مرةً أخرى عدم العودة للمدرسة؛ لذلك كان قراره الذي لا جدال فيه هو إجبار سارة على الاعتذار ليُمنى في طابور صباح اليوم التالي، وإن لم تفعل ذلك فسوف تُفصل من المدرسة فصلًا نهائيًّا لسوء السلوك.

الفصل التاسع عشر

عادت يُمنى في ذلك اليوم بمشاعِرَ مختلطةٍ جدًّا. كانت رُبا ترافقها في طريقها إلى المنزل. صحيح كان منزلها يبعد عن المدرسة أكثر قليلًا، لكنها أحبت أن تبقى معها وتشد من أزرها وتشجعها وتقول لها إنها كصديقة جديدة لها لن تتركها في هذا الموقف الصعب. تحدثت ربا مع يُمنى كثيرًا في الطريق، وحكت لها كيف كانت البنات الأخريات يلقبنها بالـ"بلهاء" لأنها لا تجيد أي شيء تقريبًا داخل الفصل، فهي لا تحب أي مادة من المواد، ولا تحب أن تشارك داخل الفصل. لا تحب شيئًا في الحياة سوى الرسم، وحكت لها أنها قضت أيامًا صعبة جدًّا وأنها كثيرًا ما كانت تبيت ليلها باكية بسبب شعورها بأنها فعلًا "بلهاء"؛ لأن الجميع يُصِرُّ على ذلك، حتى أقرب الأقرباء في بعض الأحيان للأسف.

قالت لها إنها محظوظة؛ لأنها ليست "بلهاء" مثلها، وهنا بدأت يُمنى على الفور التفكير في رُبا، فحاولت أن ترفع من معنوياتها، وقالت لها:

- لا تقولي هذا يا رُبا، أنتِ لستِ بلهاء. أنتِ فتاة جميلة وذكية.

- أنا ذكية؟! لم يقل لي أي أحد هذا من قبل، لا بد أنك تمزحين معي يا يُمنى، فأنا لستُ ذكيةً، بل بلهاء.

- لستِ بلهاء، توقفي عن ذلك يا رُبا فورًا، ولا تجعلي الأغبياء يحاولون إفهامك شيئًا غير صحيح عن نفسك. أنت ذكية بالطبع.

- كيف يا يُمنى؟! درجاتي لا تنبئ بأي ذكاء، فأنا دائمة الرسوب.

- أتدرين؟ في هذه الندوة التي نظمتها المدرسة التي لم تحضريها تحدث الأستاذ أحمد الْمُنجي عن كيف أن لكل شخص نوعًا من الذكاء مختلفٌ عن الآخر، وأنه لا يجوز مقارنة أي أحد بأحد آخر. تعلمين يا رُبا؟ أنت ذكيةٌ جدًّا فنيًّا، وكثيرًا ما كنت أنظر إلى لوحاتك بانبهار، وتمنيت أن كنت أستطيع أن أرسم كما ترسمين.

- حقًّا يا يمنى؟ أتعجبك رسوماتي؟
- نعم، جدًّا. إنها لوحات مدهشة.
- شكرًا لكِ.

كانت هناك بقايا دموع في عينَيْ كل من الفتاتين، فأخذت الاثنتان تمسحان هذه البقايا من الدموع بعد أن نجحت كل صديقة في إبعاد شبح الشعور بالنقص عن الأخرى. نجحت ربا في إفهام يُمنى أن لديها الكثيرَ الذي يمكن أن تعتز به، وأن عليها أن تتوقف عن الشعور بالنقص، كما نجحت يُمنى في جعل رُبا تشعر بالفخر، وأن عدم التفوق الأكاديمي لا يعني أن الشخص "أبله" كما كان يطلقون عليها، فربما تبدأ تنظر لنفسها نظرةً مختلفةً عن ذي قبل.

وصلت الفتاتان عند بيت يُمنى، وودعت ربا صديقتها بقبلةٍ وضمةٍ قوية، وقالت لها:

- شكرًا لكِ صديقتي.
- أنا التي أَوَدُّ أن أشكرك، فقد دافعتِ عني وقمتِ بالدور الذي اعتادت أمينةُ أن تقوم به. شكرًا صديقتي.

ذهبت رُبا في طريقها وتوجهت يُمنى إلى شقتها في الطابق الثاني، وصعدت درجات السلم وفتحت الباب، فوجدت الأم أمامها وبنظرة سريعة أدركت على الفور أن مشكلة ما (كبيرة في أغلب الأمر) قد حدثت في ذلك اليوم.

الفصل العشرون

لم تحتَجْ فاتن مجهودًا لإدراك ما حدث، فذراع يمنى الصناعية غير موجودة، وبعد فترة قصيرة عرفت تفاصيل ما حدث، وما فعلته سارة بيُمنى، وكيف أنها لاقت عقابًا قاسيًا شديدًا، وكانت أمينة في المنزل تسمع من يُمنى تفاصيل ما حدث، وكان رد فعلها أن قالت:

- قلتُ لكِ يا يُمنى، هذه البنت لا تفهم غير العنف، ولا يُجدي معها سوى العنف.

حاولت الأم ألَّا تبدي موافقتها على مبدأ العنف، فردت قائلة:

- أنا لا أُوَافِقك الرأي يا أمينة، هذا العقاب الذي تحدثت عنه يُمنى هو العقاب الأمثل، لكنه بلا عنف.

- حسنًا ربما، لكنها تستحق الضرب على أي حال.

- لا فائدة يا أمينة. أنا أعلم جيدًا حبك وخوفك على يُمنى، لكن العنف غير مجدٍ صدقيني.

- حسنًا يا أمي، كما تَرَيْنَ.

هكذا قالت أمينة وهي غير مقتنعة تمامًا، ولكنها كانت سعيدةً لما تقرر بشأن سارة، وكانت المفاجأة بالنسبة لكل من فاتن وأمينة هو رد فعل يُمنى، فهي لم تبكِ وهي تحكي، بل كانت عيناها تلمعان بالفخر بنفسها، وما كان من أغلب البنات في الفصل ورفضهن لما قامت به سارة. كما كانت المفاجأة أكبر بالنسبة لهما عندما أعلنت أنها سوف تذهب في اليوم التالي ولن تقرر الانعزال، بل ستذهب وترى ما إذا كانت سارة ستعتَذِرُ فعلًا أم لا، كما أنَّ مدرس اللغة العربية الأستاذ محمود كان قد طلب منها أن تلقي شعرًا من تأليفها في طابور الصباح، وهذه أول مرة لها لذا هي لا تريد أن تغيب.

سعدت فاتن كثيرًا بهذه التطورات الإيجابية، وطبعت قبلة على خد يُمنى، وتمنت لها التوفيق في اليوم التالي.

استيقظت بالفعل يُمنى في اليوم التالي وكلها حماسة ونشاط، وحضرت القصيدة التي ستلقيها من خمسة أبيات في طابور الصباح خلال الإذاعة المدرسية، وتوجهت إلى المدرس مع أمينة كالعادة، بدأ طابور الصباح بتقديم الفِقْرَات المختلفة في الإذاعة المدرسية، وحان دور يُمنى.

أمسكت يُمنى الميكروفون بيدها اليسرى وبدأت في إلقاء قصيدتها:

لا تيأسُوا فاليأْسُ مقبَرَةُ الطُّمُوحْ * واستبْشِروا فالفجْرُ جَوْهَرةٌ تلُوحْ
مِنْ بينِ لُجَجِ المحيطَاتِ تفاءَلُوا * بالعزمِ تـنقذُنَا سَفِينَةُ قومِ نُوحْ
فإذا الغُبَارُ تناثَرَتْ حَبَّاتُه * وذَرَاهُ ريحٌ هائِجٌ فوقَ السُّفُوحْ
حتمًا سيَهْدأُ أَوْجُهُ من فَوْرِه * يُرْسِيهِ تَحْتَ ظِلالِنَا مُزْنٌ نَضُوحْ
وَغَدًا سيَأْتِي للْحَيَاةِ مُبَشِّرًا * في كلِّ صُبْحٍ حامِلًا مِسْكًا يَفُوحْ

نالت القصيدة استحسانَ الجميع، وسمعت بأُذُنَيْهَا التصفيق الحاد بعد أن انتهت من إلقائها، فقد بذل الأستاذ محمود معها مجهودًا كبيرًا في مساعدتها على ضبط أبياتها وزنًا وقافيةً، وكذلك تدريبها على فن الإلقاء الذي لم تكن تعلم عنه الكثير، وظل التصفيقُ مستمرًا لفترة لدرجة أبكت أمينة.

وحان وقتُ اللحظة الحاسمة، لحظةُ اعتذار سارة ليُمنى أمام المدرسة بأكملها عما بدر منها. كان يقف إلى جوار سارة والدُها ووالدتها، لم يبدُ عليهما الحماسة لفكرة الاعتذارِ لكنهما حضَرَا ليدعماها بأي حال، فأمسكت سارة بالميكروفون ليبدأ الاعتذار، ساد الصمتُ وقتًا طويلًا، ينتظر الجميع أن تتفوه سارة بكلمات الاعتذار، لكنها تُحَمْلِقُ في السماء وتمسك بالميكروفون ولا تستطيع أن تنطق.

ينتظر الجميع في ترقب، الطلبة، والمدرسون، يُمنى، أمينة، ربا، جنى، الجميع ينتظرون، لكن الكلمات تعاند سارة، فهي نفسها لا تدري ما الذي يجعلها غير قادرة على الكلام، وأخيرًا خرج صوتٌ أقرب للهمهمة منه للكلام الواضح، لم يسمع أحد أي شيء، وبدأت الدموع تتساقط من عينيها رغم محاولتها حبسها، وبدأ صوتها يعلو، وقالت في تردد:

- أنا.. أنا.

المزيد من الصمت والانتظار.

- أنا.. أعتذر ليُمنى.. أأأعتذر ليُمنى عما بَدَرَ مني. أعتذر ولن أأأأفعل هذا مرةً أخرى.

ثم ألقت بالميكروفون، وكاد يسقط على الأرض لولا أن التقطته إحدى المدرسات، وجرت سارة لترتمي في أحضان أمها.

كان مشهدا دراميًّا جدًّا، فشعرت يُمنى رغم كل شيء بقدر من التعاطف مع سارة، فالموقف ليس سهلًا. طيبةٌ هي يُمنى رغم كل شيء.

الفصل الحادي والعشرون

عادت يُمنى في ذلك اليوم إلى المنزل وكانت أمينةُ ترافقها للعودة إلى المنزل كالمعتاد. وصلت الفتاتان إلى المنزل وحَكَتَا للأم كل ما حدث، فقد كان يومًا مشحونًا بالانفعالات المختلفة، حكت يُمنى عن إلقائها للشعر في طابور المدرسة، وعن التصفيق الحاد الذي لاقته بعد إلقاء أبياتها الشعرية، وتولَّت أمينة الحديث عن سارة وعن الفقرة التي كانت مسليةً جدًّا بالنسبة لها، فأمينة لم تتعاطف مع سارة بأي حال، على عكس يُمنى التي أشفقت عليها.

سُرَّتْ كثيرًا الأم فاتن لهذا التطور، ففكرة أن الإساءة لابنتها أو من هُم مثلها لن تمر مرور الكرام، وأن التعامل مع مثل هذه الحالات سيكون بحسمٍ شديدٍ ورادعٍ، وأُعجبت فاتن أيضًا بالثقة التي تكتسبها يُمنى في نفسها لإجادتها الشعر وإلقائه، وشعرت بالسعادة والفخر؛ لأن يُمنى تدرك أخيرًا أنها متميزة بالفعل.

كانت فاتن قد قرأت قبل عدة أيامٍ عن مسابقة شعريةٍ للأطفال أعلنت عنها وزارة الثقافة، فخطرت على بالها فكرةُ تشجيع يُمنى على المشاركة في هذه المسابقة، وحدثتها عن المسابقة ومزايا هذه الخطوة، وأخذت يُمنى تفكر كثيرًا في الأمر. في البداية كانت مترددة جدًّا ولم تعرف هل تشارك فعلًا أم لا، وأخذت تفكر تفكيرًا عميقًا في المسألة. كان أكثر ما يشغلها كيف ستقف أمام عدد كبير من الناس وهي بلا ذراع يُمنى! ماذا سيقول هؤلاء الناس عنها؟! هل سيشفقون عليها؟! أم يتعاملون معها كأنها فتاة عادية؟! هل سيُقَيمون شِعْرَهَا تقييمًا صادقًا، أم سيجاملونها مثلًا بسبب إعاقتها؟!

سرحت يُمنى بخيالها بعيدًا، وتخيلت نفسها وهي تقف أمام الجمهور وتمسك بالميكروفون وتلقي شعرها، ثم تعلو الصيحات الساخرة منها

ومن مظهرها، ثم تتحول كل الوجوه الموجودة أمامها إلى وجوهٍ تشبه سارة، وكلها تضحك وتسخر منها كما اعتادت أن ترى سارةَ، فأزاحت يُمنى عن خيالها هذه الأفكار السلبية، وأخذت تهز رأسها يمينًا ويسارًا وكأنها تحاول "إسقاط" هذه الأفكار من رأسها.

قالت لنفسها إنها تمكنت اليوم من مواجهة عددٍ كبيرٍ جدًّا من الناس، فقد وقفت أمام المدرسة كلها، وأكيد الجمهور في مثل هذه المسابقة لن يكون بحجم عدد الموجودين في المدرسة، إذًا، فالوقوف أمام جمهور المسابقة لن يكون صعبًا.

بقي أمامها مشكلة واحدة هي ذراعها، لا تريد يُمنى أن تذهب إلى هذه المسابقة بلا ذراع يُمنى، وتريد أن تحصل على طرفٍ صناعي آخر أكثر متَانة، فهي لا تريد أن تُثقل على أمها وتطلب منها طرفًا صناعيًّا آخر بعد الذي هَشَّمَتْهُ سارة، لكنها أحبت فكرة وجود الطرف الصناعي، وكيف أنه يعطيها منظرًا يبدو أقرب للمنظر الطبيعي. ظلت مترددة كثيرًا في أن تفتح هذا الموضوع أمام والدتها؛ لأنها تعرف جيدًا أنها تبذل مجهودًا كبيرًا حتى تستطيع الإنفاق عليها وعلى أمينة، فقررت يُمنى ألَّا تتحدث في هذا الموضوع حاليًا، لكن بقيت فكرة المشاركة في المسابقة تراودها، فهي لم تستبعدها تمامًا.

وكأن فاتن تدرك كل ما يدور في ذهن يُمنى، وتعرف جيدًا أنها تخشى مواجهة الناس، وتخشى رد فعلهم، وتخشى عبارات السخرية وعبارات الشفقة على حد سواء، فقررت أن تبحث عن طرف صناعي (دون أن تطلب منها يُمنى ذلك)، وأخذت تتصفح الإنترنت وترى الأطراف الصناعية المختلفة وتكلفتها، وكيفية الحصول على كل منها. تاهَتْ فاتن وسط التفاصيل الكثيرة جدًّا، ولفت نظرها قصة شاب أمريكي تمكن من اختراع ذراع تؤدي مهامَّ لا بأس بها وخفيفة الوزن، ويحاول قدر الإمكان

تقليل تكلفتها. لكن تظل التكلفة باهظةً جدًّا بالنسبة لها، فخطرت ببال فاتن فكرة، وهي أن ترسل رسالةً إلى صاحب الشركة الشاب، وتعرف منه إذا كان من الممكن إرسال طرف صناعي ليُمنى على سبيل التبرع.

لكن تبقى مشكلة واحدة، اللغة! فهذا الشاب أمريكي. إذًا، عليها أن تكتب باللغة الانجليزية وهي لا تجيدها، ومن الممكن أن تطلب من جارتها نادية مساعدتها في ذلك. فهي تعمل مترجمةً ويمكن جدًّا أن تساعدها.

استبشرت فاتن خيرًا وشعرت بحماسة بالغة، وتريد أن تُسعد يُمنى وتفاجئها في الوقت المناسب قبل بدء المسابقة، رفعت فاتن سماعة الهاتف واتصلت بجارتها وأعطتها فكرةً سريعةً عن الموضوع، فأبدت نادية حماسةً كبيرةً جدًّا، وأسعدها أن يكون بإمكانها أن تفعل شيئًا تساعد به الفتاة المفضلة لديها "يُمنى الجميلة" كما تُطلق عليها دائمًا، وتحب أن تناديها.

وفعلًا ساعدت نادية فاتن في صياغة الرسالة التي تريد إرسالها إلى الشركة الأمريكية، وأرسلت الرسالة وانتظرت الرد، وفي الوقت ذاته، كان الأستاذ محمود يتردد كثيرًا على يُمنى، يساعدها في تعليم فن الإلقاء ويساعدها أكثر في دروس البحور الشعرية والوزن والقافية، وشجعها أيضًا على المشاركة في هذه المسابقة، وكان يظن أنه أول من سيحدثها عنها، لكنه فوجئ عندما عرف أن يُمنى تعرف كل شيء عنها، وأنها تفكر بالفعل في المشاركة بها لكنها مترددة. أخذ الأستاذ محمود يشجعها ويقول لها إنها حتى لو لم تفز في المسابقة فيكفيها السعي ويكفيها الاجتهاد، بالإضافة إلى ذلك، فإن هناك احتمالًا كبيرًا أن تفوز. وبدأت يُمنى تفكر بجدية في الأمر.

الفصل الثاني والعشرون

كانت فاتن متشوقةً جدًّا لمعرفة رد فعل الشركة، فقد كان هناك شيء ما يجعلها تعتقد وتؤمن، بل وتوقن أن الشركة ستوافق على دعم يُمنى، وستقدم لها هذه الذراع بسعرٍ مخفضٍ جدًّا، ظلت فاتن مترقبة، كل فترة وأخرى تفتح بريدها الإلكتروني لتعرف ما إذا كانت الشركة رَدَّت أم لا. طال الانتظار. مرَّ أكثر من أسبوع ولم تتلق فاتن أي رد بعْدُ، ولا تنسى فاتن أن تفتح بريدها أوَّل شيء بمجرد الاستيقاظ، ثم مرة ثانية وقت صلاة الظهر، ومرة ثالثة قبل أن تحضر الغداء، ثم تفتح مجددًا قبل أن تنام. ولكن لا شيء. لم يصل الرد بعد.

اقترب موعد المسابقة، فنحن الآن في شهر يناير، والمسابقة في شهر فبراير، وكل ما تتمناه ليُمنى أن تذهب إلى هذه المسابقة وهي كلها ثقة دون أن تشعر بأي نقص، أو أي مشاعر قد تؤثر على أدائها في المسابقة. لا تريد فاتن أن تفوز يُمنى في المسابقة، وإنما أن تتوجه إليها وهي واثقة تمامًا من نفسها دون أن يعكر صفو هذه الثقة أي شيء. وظلت تنتظر وتنتظر.. وأخيرًا وصل الرد.

بعد نحو أسبوعين من الرسالة الأولى التي أرسلتها للشركة وجدت رسالة وعرفت اسم الشركة من بريد المرسل، لكنها كانت تريد أيضًا الاستعانة بجارتها نادية حتى تستطيع أن تعرف ما تحتويه الرسالة.

اتصلت فاتن بنادية على الفور ومررت لها الرسالة حتى تستطيع قراءتها وترجمتها.. وكان الخبر مفرحًا جدًّا بالنسبة لفاتن! وافقت الشركة على منح يُمنى هذه الذراع بالمجان دون أي تكلفة، فسعدت فاتن كثيرًا بهذه الخبر، لكنها حاولت أن تتمالك نفسها وألَّا يظهر عليها أي شيء حتى لا تعرف يُمنى، فهي لا تريد إخبار يُمنى بأي شيء قبل وصول

الذراع تحسبًا لأي شيء، فربما تحدث أي مشكلة فلا تصل الذراع فتُحبَط يُمنى، وهذا ليس مطلوبًا بأي حال.

تابعت فاتن إجراءات الذراع، وعلمت أنها قد تستغرق وقتًا طويلًا في الجمارك، وأنها سوف تدفع رسومًا جمركيةً، حسبت التكلفة ووجدت أنها في إطار إمكاناتها بفضل الله، فالراتب الذي تتقاضاه من العمل بالمنزل يكفي لتغطية التكلفة.

وفي أحد الأيام، وصلها إخطار من الجمارك بوصول الشحنة، كانت يُمنى وأمينة في المدرسة، وقررت أن تذهب على الفور إلى مطار القاهرة لاستلام الشحنة، تسلمت الشحنة وسارت الإجراءات بسلاسة، وكانت فاتن تردد عبارة واحدة في سرها: "من أجلك يا يُمنى، من أجلك يا بنيتي"... أخيرًا انتهت الإجراءات دون مشكلات تذكر، وحان وقت العودة إلى المنزل، وحان وقت مفاجأة يُمنى.

كانت فاتن كلها شوق لإخبار يُمنى، كانت تتخيل كيف سيكون رد فعلها على هذه المفاجأة، رسمت في مخيلتها سيناريوهات مختلفة، وكلها تتصور رد فعل يُمنى وملامح وجهها وحركاتها، وكل شيء. عادت البنتان من المدرسة وكان يومًا عاديًّا بلا أحداث غير عادية، فوجدت الفتاتان أمهما وهي يبدو عليها علامات غريبة، وجداها في حالة استثنائية. رأوا فاتن وهي مبتسمةٌ جدًّا، كما أن السعادة بادية عليها ولا يمكن إخفاؤها. سألتها أمينة:

- أمي، مالك يا حبيبتي؟! أهناك شيء؟! أراكِ في حالة غريبة!

لم تَرُدَّ الأم لمزيدٍ من التشويق.

فسألتها يُمنى:

- لماذا لا تردين؟! ماذا لديكِ يا حبيبتي؟!

لم تَرُدَّ فاتن هذه المرة أيضًا.

تبادلت الفتاتان النظرات وأخذتَا تتأملان الأمَّ أكثر وأكثر في محاولة منهما لمعرفة الأمر، وأخيرًا شعرت فاتن بالشفقة على الفتاتين، فقد كانت هناك مفاجأة أيضًا لأمينة. لم تشأ أن تنسى أمينة واشترت لها الفستان الذي كانت ترغب فيه منذ فترة. فقالت لهما: "عندي مفاجأة لكما. أغمضا عينيكما". أغمضت الفتاتان عينيهما، فأمسكت فاتن الذراع بيد والفستان بيد أخرى، ثم قالت: "افْتَحَا".

أخذت يُمنى تحملق فيما تمسكه أمها في يدها، في بداية الأمر لم تستوعب ولم تفهم، ثم ظنت أنها ذراع مثل الذراع الأولى التي كسرتها سارة، لكن مثل هذه الذراع قطعًا لن تكون مفاجأة، ثم حاولت أن تستوعب ما تراه، وقالت للأم:

- ما هذا يا أمي؟

- ثانية واحدة، سوف أشرح لكِ فورًا. ما رأيك يا أمينة في الفستان؟ أليس هذا هو الفستان الذي تريدينه؟

قفزت أمينة وصفقت من الفرحة قائلة:

- نعم يا أمي، إنه هو. شكرًا يا حبيبتي.

ثم عانقت فاتن وطبعت قبلات كثيرة على وجنتيها. والآن جاء دور يُمنى. حكت فاتن ليمنى القصة كلها، وأفهمتها أنها لم تكن تريد أن تقول لها من البداية حتى تتسلم الذراع بيديها وتتأكد أنها أصبحت حقيقة. فلم تتمالك يُمنى نفسها من البكاء، وكانت تبكي فرحًا وقهرًا في الوقت ذاته. كانت تشعر بالقهر؛ لأنها رغمًا عنها تذكرت كل ما مر بها في حياتها الماضية وكل الإساءات التي تعرضت لها بسبب ذراعها المفقودة.

الآن، ربما تعيش حياة طبيعية نوعًا1 ما، فشاهدت يُمنى مع أمينة وأمها فيديو يشرح كيفية استخدام الذراع وإمكانياتها التي لا بأس بها، مقارنة بالذراع البائسة التي تكسرت بسهولة على يد سارة.

الفصل الأخير

يقترب موعد المسابقة ويقترب قلق يُمنى وخوفها. لا تشعر يُمنى بالخوف من مواجهة الناس، فقد اعتادت هذا الأمر، لكنها تخشى كل التفاصيل، تخشى كل شيء. عدد الحاضرين سيكون كبيرًا جدًّا بشكل يفوق قدرتها على الاستيعاب. تخشى من رد فعل الجماهير لمظهرها، تخشى من القصيدة التي ستلقيها، ترى هل ستعجبهم؟ لم يكن اهتمامها بالفوز بقدر اهتمامها بأن يمر اليوم دون مشاكل ودون أزمات.

ما زال الأستاذ محمود يدعمها ويعطيها الدروس، وتُبدي يُمنى مهارةً كبيرةً في نظم الشعر وإلقائه، وساعدها كثيرًا في القصيدة التي سوف تلقيها في المسابقة، ساعدها في تنقيحها وضبط مفرداتها ووزنها وقافيتها، كل شيء. لا ينقص سوى مهارة يُمنى وقدرتها على أن تنسَى أي مخاوف، وتتحلى بالشجاعة الكافية التي تجعلها قادرة على الإلقاء دون تردد وبطلاقة كما هو مطلوب في المسابقة.

اتفقت فاتن مع المدْرسَة على غياب يُمنى وأمينة في يوم المسابقة، فسيذهب ثلاثتهن لا محالة. ترتدي أمينة فستانها الجديد، وتضع يُمنى ذراعها الجديدة وتأقلمت عليها ولم يعد التحرك بها واستخدامها يمثل أي مشكلة بالنسبة لها، وارتدت فستانها المفضل، لم تكن تهتم كثيرًا بأن يكون لها فستان جديد ترتديه يوم المسابقة، فهذه الذراع "السحرية" أهم شيء بالنسبة لها. راجعت يُمنى في ذهنها آلافَ المرات القصيدة التي سوف تلقيها أمام الجمهور وأمام لجنة التحكيم.

وصل ثلاثتهن إلى مقر المسابقة قبل البدء بساعة كاملة، هكذا كان شرط المسابقة، أن يحضر المتسابقون قبل البدء بساعة كاملة للترتيب والتأكد من أن كل شيء يسير على ما يرام.

وحانت اللحظة الفارقة، بعد أن أخذ كل متسابق دوره، وكانت يُمنى هي الفتاة الوحيدة وسط عددٍ كبيرٍ من الفتية، وحان دورها، فأخذت تحاول التنفس بهدوء شديد حتى تساعد نَفْسَها على الاسترخاء كما طلب منها الأستاذ محمود، وحاولت التركيز في القصيدة ولا شيء غيرها. شعرت أن كل كلمات القصيدة انمحت تمامًا من ذاكرتها وكأن هناك مِمحاة أخذت تمسح الكلمات وأصبحت ذاكرتها خاليةً تمامًا كالورقة البيضاء. واصلت يُمنى التنفس بهدوء، وبدأت تستعيد هدوءها وتركيزها، وتذكرت الكلمات أخيرًا. توجهت يمنى إلى المكان الذي ستقف فيه، وتركزت الإضاءة عليها فوق المسرح، وبدا وجْهُهَا شاحبًا نوعًا ما، وبدت هي بجسدها النحيل وكأنها شجرة صغيرة يافعة مزروعة في الأرض ويعلوها ضوء القمر.

بدأت يُمنى تلقي أبياتها الشعرية:

اليومَ أحكي قصَّتِي فلْتَسْمعوا * أنا فارسٌ عرشَ العُلا أَتَرَبَّعُ
أنا بينَ أقْرَاني سَحَابٌ شَامِخٌ * قِمَمُ الجبالِ بِدون عزمٍ تَرْكَعُ
تاجٌ علَى رأسِي يُزين مِفْرَقِي * إكليلُ فخْرٍ واللآلئُ تَسْطَعُ
يا مَنْطِقَ الطيرِ القريبِ تحيةً * لِمَلِيكةٍ قلْبِي لها يَتضَرَّعُ
أحْنِي لها رأْسِي فَتَعْلُو هامَتِي * وإذا خَفَضْتُ بكُلِّ حُبٍّ تَرْفَعُ
أُمي وسَيِّدَتِي وسِرُّ سَعَادَتِي * بِكِ للأمامِ أسيرُ لا أَتَراجَعُ

أخذت يُمنى تحلق في سماء الشعر وكلما تمكنت من إلقاء بيت تشجعت أكثر وأكثر، وأصبحت لغة الجسد التي تستخدمها أكثر انضباطًا. كانت في البداية تحرك ذراعها اليسرى فقط، ثم تشجعت أكثر وبدأت تحرك ذراعها اليمنى أيضًا دون قيود، فلم تخجل يُمنى من ذراعها "السحرية" التي طاوعتها في كل انفعالاتها وهي تسرد الأبيات. أخيرًا انتهت يُمنى من فقرتها الشعرية، وصمتت لوهلة ثم ابتسمت ابتسامةً

ساحرةً ما أن وقعت عيناها على أمها وأختها أمينة، وظلت هذه الابتسامة مرتسمَةً على وجهها، وانفعل معها الجمهور وسمعت بأذنيها تصفيقًا حادًّا لم تكن تتوقعُهُ أو تنتظر أن تسمعه في يوم من الأيام.

لم تصدق أذنيها أو عينيها، وتساءلت بينها وبين نفسها: هل حقًّا كل هذا التصفيق من أجلها؟ وهل يصفق الجمهور لها لأن شِعْرَها وأداءها يستحقان، أم مجرد شفقة عليها؟ قالت لنفسها: ليس مهمًّا أي شيء، المهم الآن الاستمتاع بهذه اللحظة الفارقة في حياتها.

بعد انتهاء الفقرة نزلت يُمنى عن المسرح، واحتضنت فاتن وأمينة وبكى ثلاثتهن من كثرة الانفعال، فلم يصدقن هذا المنظر كله، فهو أكبر من قدرتهن على الاستيعاب. رأت فاتن كيف أن الجميع يحتفي بابنتها ويشجعها، ويقولون لها: أحسنتِ، أحسنتِ. سمعت يُمنى أكثر من مرةٍ أُناسًا لا تعرفهم وهم يقولون لها: إن ما نظمته من شعر يفوق سنَّهَا بكثيرٍ.

سُرت يُمنى بهذا اليوم بشكل لم تتوقعه هي شخصيًّا، وتمنت من كل قلبها أن تفوز بالمركز الأول بعد ما سمعته من تصفيق وكلمات تشجيع، وعرفت أن نتيجة المسابقة ستكون بعد ثلاثة شهور، ظلت يُمنى مترقبة طَوال هذه الفترة، وشارف العام الدراسي على الانتهاء، وكذلك فترة الانتظار.

وذات يوم، تلقت الأمُّ اتصالًا هاتفيًّا من اللجنة المنظمة للجائزة تخبرها فيه بفوز يُمنى بالفعل بالمركز الأول، وحصولها على جائزة مادية لا بأس بها، سارعت فاتن بإخبار يُمنى بهذا الخبر الرائع. صمتت يُمنى برهة ثم قالت:

- أتدرين يا أمي؟ أنا سعيدة جدًّا لفوزي بالجائزة، لكني أكثر سعادة بهذه الذراع "السحرية".

انتهى